
عزيزتي
إيفا
محمد شادي

كتاب: عزيزتي ايفا

المؤلف : محمد شادي

تنسيق: سمر محمد

تصميم الغلاف : أحمد صلاح زردق

- محمد شادي -

# عزيزتي
# إيفا

لسنوات طويلة كتبت، لسنوات طويلة سأكتب، ومازلت غير مدرك تمامًا مدى حقيقة الأشياء من حولي، مازلت غير قادر على إجابة السؤال الوحيد الذي أرقني؛ هل تكون إيفا شخصًا حقيقيًا ملموسًا أم وحيًا من خيالٍ أحبّ حتى أرهقه الحب؟

والحق يُقال، لم أهتم، بالدرجة الكافية أبدًا، للبحث عن إجابة لهذا السؤال، ربما هو الشعور بأن كل هذا الجمال سيخفتُ إذا انكشف اللغز، ربما يكون الخوف من انتهاء البدايات الجميلة والانتقال للمرحلة التالية

وفي كل الأحوال، لا أملك الإجابة.

لدى ورقي ولدى حبري وما زلت أكتب، فلماذا أنتظر؟



## عزيزتي إيفا

كيف حالك ؟ أتمنى أن تكونين بخير.

هذه رسالتي الأولى إليكِ.

فكرتُ كثيرًا قبل أن أقدِمَ على هذه الخطوة، هذا ليس أمرًا سهلًا كما تعلمين. لم أعد أنام جيدًا، أصبحتُ مرهقًا وتعبًا، وأصبحت الحركة، مجرد الحركة، أمرًا شبه مستحيل.

لكنني انتهيت إلى أن ما هو مكتوب سيحدث، وأن ما نراه كل يوم قد تم تقديره قبل أن نُولد. كما أنني كنتُ أرغب في التخلص من هذا الخوف على أى حال.

الأمرُ باختصار أنني أحبكِ، ، نعم أحبكِ، أحبكِ. أقولها صراحةً، وأكررها، لأنني لم اعتد أبدًا أسلوب المناورات والالتفاف. أقولها حتى أتخفف من حملها.

يخيّل إلى أحيانًا أن هذا الحب قد احتل كل ما يتسع له قلبي من مشاعر، طرد الكراهية والعنف والرغبة والأسى وكل شئ آخر، وأصبح وحيدًا، مستقرًا، وراسخًا في هذا القلب الذي اتسع بدوره وتمدد حتى يسع كل هذا الحب.

كيف أحببتكِ بهذا الشكل ؟ كيف، وأنا من ظللتُ أحارب هذا الشعور طوال حياتي ؟

الحب ضعف، هشاشة. إننا، عندما نحب، فإننا نفقد الرؤية، تصبح الأمور زاهيةً أكثر، لامعة أكثر، لكنها غير واضحة. عندما نحب، فإننا نتخلى، طوعًا، عن الدرع الأخير الذي نحمي به أنفسنا؛ قدرتنا على القسوة. وعندما نفقد حمايتنا، أشياء سيئة للغاية يمكنها أن تحدث.

حقيقةً، أنا لا أنتظر ردًا منكِ. لقد حسمتُ أمري منذ وقت طويل: أحبكِ وهذا يكفيني. لا يهمني أبدًا أن تبادليني هذا الحب، لستُ أستجدي هذا الحب، ولا أريدكِ أن تقنعي نفسكِ بأنكِ مدينةٌ لي برد.

"لم أطلب أن تحبيني، فقد أحببتك بما يكفينا نحن الاثنين"

الحب، يا عزيزتي، يغيّر فينا الكثير، ربما نكون أضعف، لكننا نصبح أكثر قدرةً على رؤية الجمال والإحساس به، نكون أقدر على مراقبة العصافير في الصباح، الابتسام في وجه من لا نعرفهم، مداعبة قط متشرد رأيناه في الطريق.

ولهذا التغيير فأنا شاكرٌ وممتن لكِ.

شكرًا لأنكِ موجودة، وشكرًا للقدر الذي رسم طرقنا متقاطعة.

شكرًا.

اكتبي لي، لو تحبين .

بإخلاص:

أنتِ تعرفين مَن.



## عزيزتي إيفا

لا يستطيع أن يحركّنا من هذا الخمول إلا دافعٌ كبير، قوة ساحقة تقتل الكسل، سعادة تتخطى مقدرتنا على الفهم.. كنتُ قد قررت التوقف عن الكتابة، وهو قرار اتخذته بعد أن أقعدتني هذه الكآبات المتتالية وامتصت كل ما في داخلي من رغبة، لكني، الآن، وبدافع من وجودكِ في حياتي، أعود للكتابة.

إننا لا نجد أبدًا ما نبحث عنه عندما نحتاجه، فقط عندما نكف عن البحث نجده أمامنا، مزهوًا، شامتًا، متألقًا ولامعًا أكثر من أى شئ آخر. عندها فقط نفقد هذا التحفظ ونمد أيدينا إلى آخرها في محاولة الإمساك به قبل أن يهرب من جديد.

حسنٌ، أنتِ تعرفين ما أتحدث عنه.

منذ أيام، كنت أتحدث مع صديقة عن مرارات الأيام، عن الصداقات التي تفقد بريقها، عن هذا الفراغ الذي يزداد اتساعًا وتوحّشًا كل يوم. حدثتها عنكِ، أخبرتها كل شئ، وهو ما لم يأخذ وقتًا طويلًا بحكم كوني لا أعرف عنكِ الكثير.

لم أخبركِ هذا من قبل، لكني أوشكت، يومًا، على أن أصارحكِ بكل شئ. أمسكتُ هاتفي وفتحت رسائلنا معًا وكتبت كل شئ، كل ما أشعر به كتبته، لكني عجزت أن أرسلها لكِ، لم أكن جريئًا بما يكفي. حسنٌ، لنواجه الأمر، لم تكوني أنتِ أيضًا مستعدة لهذه المصارحة.

أنا الآن أنتظر، طفلٌ حائر في تقاطع طرق، أنتظر أن تمدي إلىَ يدكِ، أنتظر ابتسامة واحدة منكِ تغير هذه الحياة بكل كآبتها وبؤسها.

أنتظر وأرجو ألا يطول انتظاري.



## عزيزتي إيفا

في واحدة من قصصه، قال غاليانو متحدثًا على لسان الرب، وهو يقصد الحديث عن نفسه على الأرجح: «مؤسف أنني لم أستطع جعل نفسي مفهومًا.» .. لم أقرأ يومًا شيئًا يضاهي هذا التعبير جمالًا: مؤسف أنني لم أستطع جعل نفسي مفهومًا.

هذه مأساتي في الحياة، كابوسي المزعج الذي لا ينتهي: أن يسئ الآخرون فهمي.. اعتدتُ أن أبرر نفسي كثيرًا، في كل ما أفعله أوضح الأسباب للجميع، لقد فعلتُ هذا بسبب كذا، وفعلت ذاك بسبب كذا، كل مرة، وهذا الأمر مرهق، لو تعلمين... مرهقٌ جدًا. انتهى الكابوس بظهورك، فقط لأجد كابوسًا أشد قسوة: ألّا تفهميني أنتِ، أن تفهميني خطأً، وهما الشئ نفسه تقريبًا. هذا مالا أستطيع تحمّله، ليس الآن، ليس بعد أن أصبحتِ أنتِ كل الألوان في هذا العالم الباهت.

قضيتُ اليوم في البيت، كان الجو حارًا ولزجًا، وكان الجميع في الخارج، لهذا كنت وحدي في المنزل، ولم يكن هناك أى سبب يدفعني للخروج. وكالعادة، عندما أبقى في البيت، أجد من الوقت ما يكفي لأفكر في كل الأشياء التي تثير كآباتي. أقلّب الماضي يمينًا ويسارًا وأبحثُ عن أشياء كنتُ قد نسيتُ وجودها فضاعت واختفت، أبقى هكذا طوال النهار، وأجمع الكآبات كما يجمع غيري العُملات النادرة.

لكني، وفي آخر الليل، أفكرُ فيكِ وأنسى، أفقد الكآبات واحدة وراء أخرى، وتصبح الحياة التي تخيفني أكثر أمانًا وأمنًا.

وابتسم كمن حصد البراءة بعد سجن طويل.



## عزيزتي إيفا

أكتبُ لكِ الآن وأنا في غرفتي، أغلقتُها عليّ، أطفأتُ الأضواء، هدوء تام، بين حين وآخر يصلني صوتُ فيروز متدفقًا عبر مسام الحائط. أمي تسمعُها الآن.

من بين كل أغاني فيروز، وعلى عكسي تمامًا، تحب أمي أغانيها الهادئة، تقول أن صوت فيروز لا يتجلّى إلا في هدوئها.

لحظة، أنا أعرف هذه الأغنية، أحاول أن أتذكر اسمها. نعم، «صباح ومسا»، عرفتُها.

تعرفين ؟ فيروز تقول «في ناس كتير، لكن بيصير ما في غيره». مؤخرًا، أصبحتْ هذا الجملة تعبّر عني كثيرًا؛ لا أحتاج من العالم إلا أنتِ، لا يهمني كل هؤلاء مِن حولي، لا أهتم. "بس إنتَ.. إنتَ وبس"

* * *

يسيطر عليّ شعور دائم بأني أسوأ من مشى على ظهر الأرض، شعور لم أستطع التخلص منه يومًا، ينغّص عليّ حياتي ويجعل الاستمرار فيها جُهدًا يستعصي على التحقيق. لو غبت، هل سيفتقدني أحد ؟

أعرفُ أنكِ تكرهين الدراما ورثاء النفس، لكني أخبركِ هذا لأنكِ أنا، تفهمين ما أقول وتتعاطفين، تمدين إليّ يدكِ وتسمحين لي بإلقاء رأسي على كتفكِ، ثم إنكِ تؤمنين بحقي في البكاء، وهذا يكفي.



## عزيزتي إيفا

حياتي هي متوالية طويلة من قوانين مورفي: كل ما أريده لا أحصل عليه، وكل ما أحصل عليه لا يكون بصورته التي أردت. سوء حظ لا ينقطع.. كوميديا سوداء من نوعٍ خاص.

أقول هذا الآن لأني عرفتُ أنكِ لا تقرأين ما أكتب، كل هؤلاء وأنتِ فقط من لا يقرأ ما أكتبه.. في حواراتنا لم تلمّحي لي، بمكركِ المُعتاد، أنكِ تفهميني، وتعرفين أنكِ المقصودة بهذه الرسائل. نجلس كل يوم، نقول ما قلناه بالأمس مع تغيير طفيف لا يكاد يُذكر.. أراقب ملامحك الهادئة الوديعة فلا أجد ما أبحث عنه.

لم استطع النوم بالأمس، كنتُ يائسًا جدًا، وفي اليأس أكون هشًا، وعندما أكون هشًا أتخذُ قرارات سريعة غير موزونة، وهو ما أندمُ عليه فيما بعد.

قررتُ، مثلًا، أن رسالة الأمس هي الأخيرة، لا أحب أن أكشف نفسي أمام الجميع هكذا، لا أحبُ أن أعري مشاعري أبدًا، هذا جانب من حياتي لا أحب أن يراه أحد. وأنتي لا تقرأين، فلماذا العناء ؟

وأدتُ هذا القرار في الحال، غضبتُ من نفسي. ما هذا الذي أقوله ؟ أتوقف عن الكتابة ؟ هل حبي ضعيف بهذا الشكل ؟

"أحمق أحمق أحمق!"

فكرتُ أن أعتذر لكِ في المرة القادمة التي أراكِ فيها، هذه خاطرة تستحقُ الاعتذار حقًا، في الحب لا مكان لليأس. لكني رأيتُ أن تكتشفي بنفسك كل هذا، فمتعة البدايات نصف الحب.

## عزيزتي إيفا

أنا رجل مليئ بالعيوب، قليل الصبر والحيلة، لستُ خبيرًا في أمور النساء، لا أفهم ما بين السطور، لستُ وسيمًا بالطبع، ولا رياضيًا أيضًا.. لم أكن يومًا عاشقًا ولهانًا، لم أنظم الشعر ولم أقف تحت شرفة حبيبة سابقة أغنّي تحت المطر.

في كثير من الأحيان أتساءل: ما بال النساء ؟ يرون في أقبح الرجال فُرسانًا وعشّاقًا خياليين!

كانت «ميلينا» تعلم أن «كافكا» يكره نفسه كثيرًا، يجلد روحه على الدوام، يرى العالم من خلف عدسة سوداء مظلمة. الحقيقة أن «كافكا» كان يكره كل شئ. كانت تعلم، وكانت تذكّره دومًا: «وإن كنت مجرد جثة في العالم، فأنا أحبك»

الحب وما يفعله!

كان «وودي آلان» يقتبس دائمًا مقولة ساخرة سمعها يومًا، تقول المقولة: "أنا لن أقبل الانضمام إلى نادي يقبل أن يكون شخص مثلي عضوًا فيه."

ثم يأخذ المقولة للتطبيق في حياته العاطفية قائلًا أنه، بصورةٍ ما، يتعجّب من هؤلاء النساء اللاتي يقبلن به حبيبًا.

هذا شعوري أيضًا.. على الدوام.

لا تفهميني بصورة خاطئة، أنا فخور بحبك لي، سعيد كعصفور حر. صدقيني حين أقول أن هذا ما يبقيني حيًا هذه الأيام.

لكني أتعجب، ما الذي رأيتيه فيّ وأعجبكِ؟ ما هذا الشئ المميز الذي أقنعكِ أخيرًا أن تسقطي حصونكِ وتفتحي أبوابكِ عن آخرها ؟

هذا شئ لم أفهمه أبدًا... ربما تشرحيه أنتِ لي فيما بعد.



## عزيزتي إيفا

فكّرتُ أن أكتبُ لكِ اليوم رسالة حقيقية، ورق وقلم ومظروف وحبٌ كثير والقليل من العطر.. جلستُ على مكتبي، فتحت درجه الثاني وأخرجت مجموعة من المظاريف، كنتُ قد اشتريتها خصيصًا ليومٍ كهذا.

اعتدلتُ في جلستي وبدأتُ أكتب.. ولم أجد شيئًا!

تبخّر كلُ الكلام فجأة، كأنما هو دخانٌ يتسرب من بين أصابعي.

كل ما أريد قوله لا أستطيعُ التعبير عنه، لا أستطيع نقله على الورق.

وجدتُ نفسي محصورًا في دوامة من «الكليشيهات»، يا إلهي، كلامٌ مُكرر ومبتذل بالكامل، سمعناه مائة مرة على الأقل حتى أنه لم يعد يعني شيئًا .

لطالما كنتُ حانقًا على «الكليشيهات» والكلام المُعاد.. يبدو أنها الآن تنتقم مني.

نحن لا نلتقي كثيرًا، مرة واحدة فقط، مرة واحدة كانت كافيةً لأزرعكِ تحت جلدي دون أى عناء، احتفظتُ بصورتكِ في ذهني، مشيتكِ، ضحكتكِ، صوتكِ الهادئ الرقيق، كل هذا احتفظتُ به ولم يغادرني أبدًا. عزائي وسلواني حتى ألقاكِ من جديد. لكن، وبينما وجهكِ يداعب عيني، فأنا عاجزٌ على أن أنقل لكِ ما أحس به، أحتاج أن تكوني أمامي، أحتاج أن ترى تعابير وجهي وحركات يدي وتسمعين صوتي، أحتاج أن تفهمي ما أقول دون أن أقوله.

آهٍ يا عزيزتي، كم أفتقدكِ!

دعيني أراكِ قريبًا، أرجوكِ، وحتى ألقاكِ، اكتبي لي.



## عزيزتي إيفا

في هذا المساء، أفتقدكِ.

في هذا المساء، أشعر بالوحدة، أنتِ نائمة، وأنا أشعر بالوحدة..

لا يا عزيزتي، لا ألومكِ بالطبع، أنا، فقط، أشعر بالوحدة.

يأتي الليل ساحبًا في يده حزنًا غير مفهوم، كآبة تخيّم على السماء، الهواء يصبح أثقل، لا أعلم لماذا، لكن الليل دائمًا يبعث في النفس أشجانًا لا أستطيع تحمّلها.

كنتُ في الماضي، وحين أجدُ نفسي وحيدًا، أنام، وفي النوم أحلم، وحين أحلم أقابل محبوبتي، نجلسُ على شاطئ هادئ، يأتينا صوت الأمواج من بعيد، تحرّك هذا الحلم الذي يأتي كنسمة لطيفة في يوم حر شديد. تدفنين رأسكِ في كتفي، وأريح أنا رأسي على رأسك، يدك في يدي، ونظل هكذا للأبد.

## عزيزتي إيفا

لا أحب أن يكون حبنا مشروطًا، لا أريد أن يكون هناك أى أسباب لهذا الحب، لا أريدكِ أن تخبريني بأنكِ تحبينني لأني وسيم، أو لأني مثقّف، أو لأني بارع في وصف عينيكِ. أريد أن تقولي أنا أحبكَ لأنك أنت.

هذا هو الحب كما أفهمه: أن نحب رغم كل العيوب.

أحبيني، لأنني أنا. واكتبي لي.



## عزيزتي إيفا

كان هذا يوم الجمعة، ١١ فبراير ١٩٦٣، كان صباحًا هادئًا وجميلًا، وكان الجميع في منازلهم ينعمون بأجازة قصيرة بعد أسبوع حافل. وبينما حجز البيتلز أنفسهم لـ ١٣ ساعة متواصلة يسجّلون أغنيتهم الشهيرة please please me، كانت «سيلفيا بلاث» تضع رأسها في الفرن.

كانت «سيلفيا» قد شُخصت باكتئاب لازمها طول حياتها القصيرة، ٣٠ عامًا لم تنعم فيهم بلحظة من الراحة. حجزت أطفالها في حجرتهم، وضعت مناشف مبللة تحت الأبواب لتمنع تسرب الغاز إلى حجرة الأطفال، وماتت وقد تخلل غاز أول أكسيد الكربون دماءها.

علّمونا في كلية الطب أن هذا الغاز هو قاتلٌ صامت، لا يُحدث ضجة، لا رائحة، فقط تشعر بالدوار، وتسقط في مكانك دون ألم.. ورغم مأساوية هذا الموت، لكن عزاءنا الوحيد أن سيلفيا لم تمت ميتة مؤلمة، ليس في الموت أيضًا!

لماذا أخبركِ هذا؟

تعلمين أنني، في البداية، اخترتُ لكِ اسم «سيلفيا»، الحقيقة أن «سيلفيا بلاث» لم تغادر ذهني قط منذ أن عرفتُ قصتها. لديكِ ميلٌ إلى الاكتئاب، ربما تشبهينها في هذا، ربما كان هذا سبب اختياري، لكني، وفي النهاية، قررتُ أن هذا الشبه هو لعنة كبيرة، مأساة إغريقية مُتحركة. حياتنا بائسة بما يكفي، لا نريد المزيد.



## عزيزتي إيفا

كان «سارتر» عدميًا مُلحدًا، كارهًا للإنسان، يراه عديم القيمة، حياته ومعاناته لا معنى لها سوى أنها تقوده إلى قبره في النهاية. لم يؤمن بأى شئ في حياته، أى شئ سوى الحب. كان هذا حين رأى «سيمون دي بوفوار» للمرة الأولى.

أستطيع تخيّله الآن، وهو تخيّل لا أعلم صحته، لكنه يراودني من حينٍ لآخر. سارتر يجلس بأريحية في مقهى واضعًا ساقًا فوق أخرى، يقرأ الجريدة ويدخّن، لا أحد يستطيع أن يهز كائنًا كهذا. تدخل «سيمون» وتنظر إليه، يتوقف «سارتر» عن التدخين، وتتهاوى الثقة على الفور.

كان «سارتر» شبيهًا ب «كافكا»، لا يرى سوى القُبح في هذا الوجه الذي يراقبه في المرآة. حَوَل بسيط في عينيه، نظرة غاضبة بائسة، تشاؤم لا يفتر.

و كـ «كافكا»، كان سارتر يكره نفسه.

له مقولة شهيرة قرأتُها عليكِ يومًا مقتنعًا أنها عنّي، لكنكِ لم تصدقي هذا قط، من باب أنكِ لم تريني قبيحًا يومًا. المقولة هي:

"كان يحب أن يُريها لوحات جميلة، أفلاماً جميلة وأشياء جميلة، لأنه لم يكن جميلاً، وكان ذلك بمثابة الاعتذار."

أؤمن أن هذه المقولة قالها «سارتر» عندما وجد نفسه، وهو أديبٌ لم يجُد الزمان بمثله، عاجزًا عن التعبير لـ «سيمون» عن حبه.

سامحيني يا حبيبتي، لا أملك الكثير من الحكايات، لا أملك قدرة لغوية كبيرة، لا أستطيع صياغة الجمل لتعبّر عما أريد أن أقوله، كل ما أقوله لكِ هو صورة ظالمة لما أودّ التعبير عنه. أحاول أن أستبدل هذا العجز بأشياء أخرى؛ مقطوعة موسيقية، فقرة في كتاب، مشهد من فيلم أحبه. هكذا أستطيع أن أعبّر عن حبي لك، وهكذا تكونين أنتِ لي كـ «سيمون» لـ «سارتر".



## عزيزتي إيفا

لا شئ يريح أعصابي ويجعلني أكثر هدوءًا أكثر من الاستماع إلى «موتسارت» قبل أن أنام. في كل مرة لم يخيّب ظني، وكان قادرًا دومًا على انتشالي من توتري وضيقي.

يتحدّث الكثيرون عن الأثر الذي تركه «موتسارت» في موسيقى «بيتهوفن»، حتى أنه توجد أقاويل بأن «بيتهوفن» أخذ بعض الدروس عند «موتسارت».. ويحسم الخبراء هذا الكلام بأن «بيتهوفن» تأثر في بداية حياته بالفعل بموسيقى «موتسارت"..

أى أن قُطبى الموسيقى في تاريخ البشر كان مصدرهما شخصٌ واحد هو «موتسارت».

الحقيقة أنني لطالما فضّلتُ «موتسارت» على «بيتهوفن».. كان «موتسارت» إنسانًا أكثر من «بيتهوفن» في رأيي، والموسيقى تعني، في الأساس، أن نكون بشرًا.

الكثير من الأساطير نُسبت إلى هذا الرجل، لكن الكثير من الأشياء كانت حقيقيةً فعلًا، مثلًا: بدأ «موتسارت» تعلّم الموسيقى في الرابعة من عمره، ألف أولى مقطوعاته في سن الخامسة، وفي سن السابعة قاد الأوركسترا. ورغم سنوات عمره القليلة، لكنه استطاع تأليف مئات المقطوعات.

لكن كل هذا لم يشفع له عند موته، عندما وجد نفسه مرميًا في نعش، وحوله خمسة أشخاص فقط في جنازته. كان هذا لظروف الطقس الذي كان باردًا للغاية.

يا ربي، كم هذا مهين!

لا أعلم لماذا أقول لكِ كل هذا. يبدو أنني، إلى الآن، لم أستطع أن أتخلص من هذه العادة: أن أشاركك كل ما أحب.

اكتبي لي يا عزيزتي، أدخليني عالمكِ.



## عزيزتي إيفا

في رواية لـ كونديرا، كان هناك شاعرٌ شاب، وكانت حبيبته فتاة نمشاء حظها من الجمال قليل، وكان حبهما غريبًا ومميزًا. وفي لحظة ما، وبينما كانا يمارسان الحب، بكت الفتاة لشدة ما كانت تشعر به حب وراحة.

هل قرأتِ وصف «كونديرا» لهذا المشهد ؟

دعيني أقرؤه عليكِ:

"وشعر فجأة تحت يده برطوبة الدموع التى كانت تنهمر على خدى محبوبته النمشاء، ووجد الأمر رائعًا. كان أمرًا لم يسبق له عهد به، أن تبكى امرأة من حبه. فقد كانت الدموع بالنسبة إليه تلك المادة التى يذوب فيها الرجل حين لا يكتفى بأن يكون رجلًا فحسب، ويرغب فى التحرر من حدود طبيعته. وتهيأ له أن الدمعة تخلّص الرجل من طبيعته المادية، ومن حدوده، فيمتزج بالأماكن القصيّة، ويصير شاسع الأبعاد. وخالجه انفعال شديد من نداوة الدموع، وأحسّ بنفسه يبكى هو كذلك. كانا يبكيان وهما فى الواقع يذوبان، وكانت أخلاطهما تمتزج وتلتقى كمياه جدولين، وكانا فى هذه اللحظة خارج العالم . كانا مثل بحيرة انفصلت عن الأرض ومضت تصعد إلى السماء".

هل قرأتِ يومًا مقطعًا أكثر عذوبة من هذه ؟ لا أعتقد.

لهذا لم أحب كاتبًا كما أحببتُ هذا الرجل، لا أحد يعبّر عن الحب كما يعبر هو عنه، الحقيقة أنه لا أحد يعبّر عن أى شئ كما يعبّر عنه كونديرا..

دعيني أحدثكِ عنه أكثر في المرة القادمة. وإلى أن أفعل، اقرأي له.

اقرأي لكونديرا.. واكتبي لي.



## عزيزتي إيفا

لا أحب المرأة المستكينة أبدًا، لا تجذبني ولا تثير اهتمامي، أكره الاستسلام وأكره التخاذل. المرأة المستكينة لا تصنع حُبًا، لا تبدأ رحلة إلى الخلود، تتعود الحزن وترفض السعادة. المرأة المستكينة تصنع ديكتاتورًا، ومع مرور الوقت، تصبح هي نفسها ضحيةً لما صنعت.

لا، لا أحب المرأة المستكينة أبدًا.

ما يجذبني هو التمرد والعصيان، أن تكوني غاضبة أكثر من أن تكوني حزينة، أن تأخذي ما ترينه حقًا لكِ دون تهاون، مهما حاربكِ الآخرون.

نحن نختلف أحيانًا، نتشاجر، نتراشق الاتهامات ويعلو صوتنا، لكنكِ لا تعلمين حقًا كم من القوة تلزمني لأمنع نفسي من احتضانكِ في هذه اللحظات. لا تدركين كم تكونين جميلة وأنتِ تصرخين، كم تصبحين مثيرة، وهذه الشعرات الغاضبة تجد طريقها لتستقر فوق خدّيكِ.

## عزيزتي إيفا

"ما عاد يجب أن نخجل، نحنُ الرجل، من أن نختبئ خلف امرأة"

وما عاد لي، أنا، أن أخجل من أن أحتمي فيكِ من العالم



## عزيزتي إيفا

كان «ساراماغو» عندما يجد نفسه وحيدًا، مُحاصرًا، حائرًا، عندما يضل طريقه أو يجد أنه غير قادر على الرؤية، كان يلتفت إلى «بيلار» قائلًا في مرارة يشوبها أمل:

"ماذا عليّ أن أفعل يا بيلار؟"

في هذه اللحظات، نرى «ساراماغو» الكاتب العظيم، والذي لم يهادن في حياته أبدًا، ولم يكن يرضى بأنصاف الحلول، كنا نراه، وهو الذي يكبر «بيلار» بـ ٢٨ عامًا، يتحوّل إلى طفل صغير يبحث عن الأمان في عيني والدته.

كان «ساراماغو» مخلوقًا لهدف وحيد: أن يلتقي بـ «بيلار» وأن يصنعا معًا قصة حب هي الأجمل على الإطلاق، وفي الطريق إلى ذلك، يمكنه أن يصبح كاتبًا عظيمًا، وعبقريًا لم يرَ العالم مثله.

ربما تأخر القدر في جمعهما معًا، لكن «بيلار» استطاعت في السنوات التي رافقته فيها أن تعوّضه عن كل ما فاته، وأن تكون ملهمته الوحيدة. وعندما كان «ساراماغو» يشعر أنه عاجز عن شكر «بيلار»، كان يكتب لها رواية ويقدم لها الإهداء خالصًا لأجلها.

في رواية «الآخر مثلي» كان إهداؤه:

إلي بيلار، حتى اللحظة الأخيرة.

في «مسيرة الفيل":

إلى بيلار، التي لم تتركني للموت.

في «البصيرة":

إلى بيلار، دائمًا.

فى «مذكرات صغيرة":

"إلى بيلار، التى لم تكن قد وُلدت بعد، وتأخرت فى المجئ".

في «انقطاعات الموت":

إلي بيلار، بيتي.

قايين:

إلى بيلار، كمن يقول ماء.

قبل أن يموت، قال «ساراماغو» لـ «بيلار“:

سنلتقي في مكان آخر.



## عزيزتي إيفا

انتهى الحفل سريعًا، مرت الساعتان كلحظات قليلة، خرجتُ مسرعًا إلى الهواء الطلق، كان الجو خانقًا بالداخل، وكان الحماس شديدًا، والجميع يغنّون في سعادة.

كان الحفل لا ينقصه إلى أن تكونين بجواري، يدكِ في يدي، رأسكِ ترتاح على كتفي، نتأمل، نبتسم، نغيب في الموسيقى، ونلتقي بعيدًا عن الصخب.

لن أكذب قائلًا أنني لم استمتع، كان الحفل جميلًا بحق، لكني سأقول صراحةً أنها تشبهك كثيرًا؛ عيناها الواسعتان، يداها وهما تتحركان أثناء الغناء، شعرها المنسدل بنعومة على كتفيها، حتى أنني لم أجد صعوبة في تخيّلكِ في فستانها الأحمر.

ما العالم دون موسيقى ؟ كيف يكون شكله ؟

يا ربي، يؤلمني حتى أن أطرح السؤال.

## إيفا

ربما أكون موسوسًا، لكني أشعر، في أحيان كثيرة، بأن كلامي ممل، مبتذل. عندما أحاول أن أراكِ بعين الخيال وأنت تفضّين هذه الرسالة، أتوقع منكِ تنهيدة سأم، نظرة يأس، زفرة ضيق: ألا يستطيع هذا الشخص أن يكتب إلا عن الكتب ؟!

سامحيني يا عزيزتي.

ربما تكتبين لي يومًا فأجد في كلامكِ ما يفتح في روحي بابًا جديدًا لم أكن أعلم بوجوده.



## عزيزتي إيفا

بينما أقلّب اليوم في كتاب ما، وجدت مصطلحًا لم أسمع به من قبل، رغم أنه يعبّر عن جزء كبير من علاقتي بك. المصطلح هو Sapiosexual، ويعني أن تكون منجذبًا بصورة جسدية إلى شخص ما بسبب ذكائه.

هذا هو ما أشعر به تجاهكِ يا عزيزتي. أنتِ تتكلمين فأسمع بشغف، أهتزّ، تنفرج شفتاى، تزداد ضربات قلبي، وتثور في داخلي رغبة عارمة في أن أجذبكِ إليّ وأقبلكِ بعنف.

لا يا عزيزتي، لا تفهميني خطأً. أنا لم أقل أبدًا أنني لستُ منجذبًا إلى جسدكِ، هذا ليس صحيحًا على الإطلاق. لقد أخبرتكِ من قبل أني لا أحب امرأةً لا أشتهيها، هل تذكرين ؟

كم مرة بدأنا فيها نقاشًا لأجد أنني تهتُ في شفتيكِ؟

يغضبكِ هذا كثيرًا، وكم أحبكِ غاضبة. تقولين أنني لا أعيركِ اهتمامًا وأنتِ تتحدثين، وأظهر أنا نظرتي الباردة في الحال لأغيظكِ أكثر: اعذريني يا عزيزتي ففي رأسي ما يشغلني.

## عزيزتي إيفا

أحبكِ كثيرًا.



## عزيزتي إيفا

لم أعرف، إلى الآن، شخصًا يمكنه مقاومة الموسيقى. يمكنك أن تقاوم كل شئ: الفقر، الضعف، المعاناة، لكن الموسيقى ؟ مستحيل.

عندما تنطلق الموسيقى، وتنتشر هذه الذبذبات الساحرة في الهواء، يصبح من المستحيل أن تقاومها، تُنتزع منك إرادتك، تفقد قدرتك على التفكير، وتجد أنك ما عُدتَ هنا، وإنما تسبح في عوالم أخرى.

لا يقاوم الموسيقى إلا الجثث..

هتلر، وهو الذي يراه البعض شيطان هذا العصر، كان يعشق الموسيقى، وكان يمجّد «فاجنر» تمجيد الآلهة. وبينما كان العالم يحترق من حوله، والشيوعيون واليهود يختنقون في غُرف الغاز، كان هتلر مواظبًا على حضور حفلات موسيقى «فاجنر» بانتظام، لا يفوّتها أبدًا. حتى بلغ عشق هتلر لـ «فاجنر» أنه درس ما كتبه «فاجنر» عن الموسيقى.

قال هتلر فيما بعد:

"حينما أسمع فاغنر، يبدو لي كما لو أنني أسمع إيقاعات عصور ما قبل التاريخ"

وكما تأثر هتلر بموسيقى «فاجنر»، تأثر أيضًا بأفكار «نيتشة»، الذي كان، رغم قسوته، عاشقًا للموسيقى. «نيتشة» جلّاد البشر، الكاره للنساء، عدو الضعف، صاحب نظرية «الإنسان الخارق»، والتي تبنّاها «هتلر» فيما بعد وأصبحت دستوره الأهم.. «نيتشة، وياللعجب، كان عاشقًا للموسيقى.

يقول «نيتشة":

"الموسيقى ألغت احتمال أن تكون الحياة غلطة."

الموسيقى يا عزيزتي.. الموسيقى.



## عزيزتي إيفا

الحب هو نصير «البروليتاريا»، رفيق الفقراء والمُعدمين، لا ينحاز للأغنياء، ولا يعرف النقود. وفي نهاية اليوم، يرقد في بيوت من الطين والقش.

* * *

وجهكِ خريطة للعالم.

* * *

في فيلم Manhattan، كان «وودي آلان» يحاول التفكير في أشياء تجعل الحياة تستحق أن تُعاش. ذكر منها:

فرانك سيناترا

مارلون براندو

مقطوعات «لويس أرمسترونج"

رواية «التربية العاطفية» لـ «فلوبير"

وجه «ترايسي» .. و«ترايسي» هي محبوبته.

* * *

حبكِ يبقيني حيًا.

* * *

البيتلز يغنّون:

All you need is love

يانّي يقول: Love is All

يغني «تومي جيمس": Love is the Answer

## عزيزتي إيفا

أنا رجلٌ واقعي، لا أؤمن بالمبالغات، ولا أرتاح للوعود الكاذبة. الوعود الكاذبة تحمل اليأس، تؤجج الإحباط، والحب القائم عليها يذبل ويموت سريعًا.

حبنا، أيضًا، واقعي بالكامل، لا مكان فيه للمعجزات.

لن أقول لكِ أنني سأجمع لكِ النجوم عقدًا حول رقبتك، ولن أقول أني سأصطاد لكِ القمر تلعبين به في حجرتكِ، ولا أملكُ القدرة على حمياتك من شر هذا العالم كله، لكن ما يمكنني قوله، صادقًا، هو أنني سأحبكِ حتى آخر أنفاسي، حتى أفنى في الحب وتفنين، حتى لا يتبقى في هذا العالم غيرنا، أنا وأنتِ، سأحبكِ بصورة تكفي أن أقدم لكِ روحي دون لحظة من التردد.

هل يكفيكِ هذا ؟

اكتبي لي يا عزيزتي.



## عزيزتي إيفا

ما هو الحب ؟

هل لديكِ تعريف واضح لهذه الكلمة ؟ هل تملكين تصوّرًا محددًا ومفهومًا ؟

أنا لدى. الحب هو أن نكون سعداء، لا أكثرَ ولا أقلّ.

درويش، الذي تغنّى بالبطولة، وقدم قصائده فداءًا للوطن، ونذر كلماته للانتفاضة والحجارة، لم يستطع منع نفسه من أن يحب «ريتا» اليهودية.

كان سعيدًا، هانئًا، وكان حبه أقوى من الكراهية.

كان حبه يكفيه.

أجمل قصائده كتبها للحب، كتبها لـ «ريتا"‏:

بين ريتا وعيوني.. بندقيهْ

والذي يعرف ريتا، ينحني

ويصلي

لإلهٍ في العيون العسليّهْ!

غنّاها «مارسيل» فيما بعد، غناها كما أرادها «درويش» تمامًا، وكان «مارسيل»، على ما يبدو، يستحضر محبوبته هو الآخر.

أصبحت أجمل أغانيه.

كانت أسعد أيامه هي التي أحب فيها «ريتا»، وبعد عمر طويل، وسنوات من الألم والفوضى، كانت «ريتا» هي زاده الوحيد.

لكن الحياة أتت، الحرب أتت، والخوف أيضًا. والحب الذي أبدع لنا هذه الكلمات مات واندثر.

ما السبب ؟

درويش لم يعد سعيدًا.

قال، فيما بعد:

"دخلت الحرب بين الجسدين بالمعنى المجازى، وأيقظت حساسية بين الطرفين لم تكن واعية من قبل."

هكذا عاد الحب إلى صفوف الخيال، وقصائد الشعر، لأن الواقع، في معظم الأوقات، ينتصر في النهاية.



## عزيزتي إيفا

أنا شخصٌ كثير الكلام، أحب الحكايات والقصص ما ظهر منها وما بطن. زادي في الحياة هي حكايات أجمعها منذ الطفولة، بيتٌ أبنيه حجر فوق حجر.. لكن هذا البيت آيلٌ للسقوط، وهذه الحكايات، التي جمعتها، أنساها مع الوقت، أفقد طمأنينتي وهدوئي، ومع آخر حكاية أنساها أموت معها.

كانت بطلة حكاياتي مجهولة الهوية، وجهها يحمل علامة استفهام كبيرة، وأحيانًا لا يحمل شيئًا على الإطلاق، فقط خيال مجروح لوجه كالح.

وفجأة أحببتُكِ.. تشكّل هذا الوجه بدقة شديدة: الشعر الطويل المنسدل على الكتفين، الجبهة العريضة التي تصرّح بذكاء صاحبتها، الأنف الرفيع الذي يرتفع بشموخ، وشفاه وردية تلمع كقمر في سماء صافية .

هذا وصفك، صحيح ؟

دائمًا أتساءل: ما الآن ؟

الآن، أنا أحبكِ، أحبكِ أكثر من أى شئ.. وأنتِ ؟

حسن، أنتِ لا تكتبين، لا تقولين لي إنك، أيضًا، تحبينني.

تقرئين رسائلي في صمت وتستمتعين برؤية هذا الغر يكتبُ في أمل.

لا تكتبين... يا إله السماوات، كم هذا محبط!

## عزيزتي إيفا.. عزيزتي إيفا

لا تتركيني معلقًا هكذا.. أنا لا أطلب الكثير، فقط أخبريني هل تحبينني ؟

ماذا يضيرك لو تكتبين ؟

هل ستكتبين ؟



## عزيزتي إيفا

لم أستطع أن أحب «ألبير كامو» قط.

كانت لي تجربة وحيدة معه هي روايته الأشهر «الغريب»، وهي تجربة لم تكن جيدة على الإطلاق، لكن هذا ليس سببًا كافيًا لكى لا أحبه.

خطف «ألبير كامو» جائزة «نوبل» من «كزانتزاكيس». نعم كما تسمعين، لا يمكنني أن أطلق علي ما حدث لفظًا أقل من هذا. أنتِ تعرفين كم أحب «كزانتزاكيس»، وكان ما فعله «كامو» خطأً لا يُغتفر بالنسبة لي.

كانت اللجنة قد اختارت «كامو» بفرق صوت وحيد عن «كزانتزاكيس»، وكان هذا سخيفًا بما يكفي حقيقةً لكى أفقد إيماني بهذه الجائزة الغبية.

أحب المناضلين، لهم في قلبي مكانة خاصة، وكان «كزانتزاكيس» مناضلًا من نوع مختلف. حارب جمود الفكر والرجعية والتخلف والقيود والوطن الظالم والظروف القاهرة والمتحدثين باسم الإله، حارب كل هذا، وخرج من معاركه منتصرًا دون غرور. كان يمد يد السلام لأعدائه، بينما يطعنونه هم من الخلف.

كان يشعر أن أجله قد اقترب عندما جلس إلى زوجته، التي كانت حب حياته، قائلًا: "اكتبى أنتِ، سيقولون الكثير من الأكاذيب عن أسطورة كزانتزاكيس التى ستلوكها الألسنة. اكتبى أنتِ لأنك تعرفينى"

مات «كزانتزاكيس»، وظلّت جملته محفورة على شاهد قبره: لا أطمع في شئ.. لا أخاف من شئ .. أنا حر"

كان اسم زوجته «هيلين»، وقد نفّذت وصيته وكتبت.

## عزيزتي إيفا:

ألم يحن الوقت لتكتبي لي ؟



## عزيزتي إيفا

"لا ترم شيئًا، قد يكون ما ترميه قلبُك."

هذه نصيحة وصلتني متأخرة.

كم مرة رميتُ قلبي ؟ كم مغامرة طائشة، كنتُ أعلم من البداية أنها طائشة، ورغم هذه خُضتها لنهايتها ؟ كم من العهود قطعتها على نفسي وانتهى بي الأمر وقد أخلفتها جميعًا ؟ الأمور تتكرر منذ وقت طويل، والروتين استطاع، بصورة ما، أن يتحكم في حياتي بالكامل..

أفكّر دائمًا أننا كبشر نملك كمًا محدودًا من المشاعر، كمًا يكفينا كي نعيش حياة سعيدة حتى النهاية، لكننا نستنزف هذه المشاعر عندما نضعها في غير مكانها؛ الأصدقاء الذين نختارهم سريعًا فيتركونا في بداية الطريق، والحب الذي نعرف أنه لن ينتهي بقُبلة امتنان لكننا نكمله حتى النهاية، والمعارك التي نخوضها من أجل من لا يكونون بجوارنا حين نحتاجهم.

هكذا عشتُ حياتي كلها أستنزف مشاعري بكل إخلاص، والآن لم أعد أملك شيئًا. خواء وعدم... لقد رميتُ قلبي عشرات المرات، رميته حتى أصبح يرفض العودة إلىّ.

الحق أقولُ لكِ أنني أحب أن أرى نفسي مظلومًا، أحب أن أعتقد أنني كنتُ ضحية لهذا العالم القاسي. هذا الشعور يقدم لي عزاءًا لا بأس به: لستُ أسوأ المخلوقات في هذا العالم، هناك من هم أسوأ بكثير.

لكنني، وبعد أن أسترخي وأفكر بهدوء، أكون متأكدًا أن هذا ليس صحيحًا أبدًا.. أنا مظلوم لأني أريد أن أكون مظلومًا، لا أكثر ولا أقل. لستُ ضحية لأى شئ/شخص، أنا ضحيةُ نفسي بالأساس.

في كل مرة أصلِ إلى هذه النتيجة، وفي كل مرة أجد أنني أعيد تكرار التجربة من جديد.

ولكن يكفي حديثًا عني، كلميني عنكِ قليلًا.

## عزيزتي إيفا

لماذا نبحث عن الأشياء في غير مكانها ؟

هل سألتِ نفسكِ هذا السؤال من قبل ؟

أنا فعلت.. فعلتُ وما زلتُ أفعل، ورغم هذا لم أصل إلى إجابة مقنعة أبدًا... لدى نظرية؛ أننا مازوخيون بالفطرة، نحب أن نعذّب أنفسنا، نحب أن نشعر بهذه الروح الطاهرة وقد ملأتها الندوب والجراح.. هكذا نقول بارتياح أن الحياة غير عادلة، وأننا مهما فعلنا فإننا لا نستطيع أن نعيشها لأقصاها. فعندما لا تملك من أمركَ شيئًا، وعندما لا يكون لديك ما تخسره، تكون قد وصلت إلى الراحة الأبدية.

الحقيقة أنه لم يفهم أحد حقيقة الحياة إلا وأصبح أكثر عزلة. لم يفهم أحد حقيقة الحياة إلا وقرر أنها خدعة كبيرة، فخ تم نصبه لنا بإحكام، والموت فقط هو ما يخلّصنا منه.

كان سيوران يقول: «مهمة الرجل الوحيدة هي أن يكون أكثر وحدة.“

ماذا رأيتَ من الحياة يا صديقي حتى تقول هذا ؟

أعتقدُ أحيانًا أن «سيوران» يبالغ، يحب أن يهوّل الأمور كأى شخص آخر، لا أحد يمكنه مقاومة أن يقول للجميع «انظروا إلى، هل ترون كم أنا بائس ؟“

لكنني أقرأ له/عنه ثم أقتنع أنه لم يكن منافقًا أبدًا، لم يقل كلمة في غير مكانها. كان دقيقًا، وكان يفعل ما يقول، ويقول ما يفعل.

هكذا عاش حياته كذئب وحيد.. يهرب من المتفائلين كأنهم الطاعون.. يكره الأمل ويحتقر البشر. يرى الولادة على أنها أكثر الأفعال خُبثًا ودناءة، وأن الموت هو الهدف الأعظم والجائزة الكبرى التى تتوج مسعانا في هذه الحياة البائسة.

عندما أفكر: كلنا «سيوران» بنسب متفاوتة. إننا مخلوقون كى نشقى لا كى نسعد، لكننا نهرب من الشقاء أحيانًا بين ضفتى كتاب نقرؤه، في أحضان مقطع موسيقى. قلة فقط وجدوا خلاصهم في الحب، وهؤلاء القلة هم الأكثر حظًا.

كان «سيوران»، لكى يبتسم، في حاجة إلى الحب، لكنه، ذلك البائس، لم يجده أبدًا.



## عزيزتي إيفا

هل تعرفين ما هو شعور أن تُستنزف من الداخل ؟ أن تفقد طاقتك تدريجيًا حتى لا يبقى في داخلك أى قدرة على المقاومة ؟ .. اليأس المطلق الذي يأتي بعد عناء، والنظرة الزاهدة للحياة والتي تأتي بعد حرمان طويل.

أرواحنا تمزقت إلى آلاف الشظايا الغير قابلة للإصلاح.

بالتأكيد تعرفين هذا الشعور. أنتِ فتاة في نهاية الأمر، ولا توجد فتاة على وجه هذه الأرض لما تعاني من هذا الشعور في فترة ما.

حسنٌ، هذا هو شعوري مؤخرًا: إنني أفقد نفسي، بقايا الثقة التي كوّنتها على مدى السنوات الماضية احترقت وتناثرت في وجه الريح. لم أعد أعرف نفسي، ولم تعد نفسي تعرفني. في بداية اليوم، أستيقظ مشحونًا، أفضل حالًا، سعيدًا إلى حد ما، أبتسمُ على استحياء، لكن الساعات تمضي، والكآبة تتكاثف كسحابة ثقيلة لتُمطر، في آخر اليوم، سوادها فوق رأسي.

أنا أحتاج إلى دافع يجعلني أستيقظ في الصباح، أكمل يومي، أواجه متاعب العالم، وأنام على أمل أن الأمور ستكون أفضل غدًا. أحتاج إلى حافز كهذا، أصبحَ ضرورة حياة. أنتِ تمثّلين هذا الدافع. أخبرتُك من قبل أنك السبب في أنني مستمرٌ في هذا العالم، لكنكِ لستِ موجودة على الدوام، ترحلين ثم تعودين، ثم تقررين أنني لا أستحقُ حبكِ فترحلين، ثم تعودين بعد أن تملّي الوحدة. وأنا ؟ حسنٌ، أنا لا أملك القوة/الرغبة/الإرادة لأمنعكِ. الحقيقة أنني لا أملك القوة لأى شئ، لقد فقدتُ روحي.



## عزيزتي إيفا

إنهم يتغيرون بعد فوات الأوان، يتغيّرون دائمًا ونحن في طريقنا للرحيل، هذا هو ما يحدث كل مرة. لا أحد يتغير في الموعد المناسب، ليس قبل أن نستنزف أنفسنا حتى آخر قطرة، ليس قبل أن نتوسل بما فيه الكفاية. وحين يتغيّرون، نكون نحنُ قد غبنا عن الأنظار.

المؤسف في الأمر ليس هذا، وإنما المؤسف أننا لا نعود أبدًا كما كنا قبل أن نعرفهم، المياة لا تعود إلى مجاريها، والتفاحة تسقط دائمًا بعيدًا عن شجرتها. هناك شئ يتغيّر فينا إلى الأبد، تنتقل إلينا عيوبهم وسوآتهم ونصبح نحن أيضًا غيرقادرين على التغيّر.هكذا ينتقل المرض حتى يتفشّى وتصبح السيطرة عليه شبه مستحيلة.

الأصدقاء/الأقرباء بشر، والبشر أبناء طباعهم، لا يمكنني أن ألومهم على هذا، لكن البشر أيضًا يحبون، ومن أجل هذا الحب يضحّون، هكذا الحياة. لماذا إذًا نجد أنفسنا دائمًا مع بشر لا يريدون التضحية ؟



## عزيزتي إيفا

أنا ساذج للغاية، أرى الخير في الجميع، أسامح الناس بسهولة، والجميع يخدعني باستمرار... لكني لم أعد أثق بأحد، لم أعد أصدّق كلام أحد... عندما تتعرضين لكل هذا الكم من الإحباطات/الخذلان/خيبات الأمل يصبح من الترف أن تثق بأحد.

لقد وثقتُ من قبل، وثقتُ ولم تكن النتيجة جيدة.. إننا نعتقد دائمًا أن الجميع يبادلوننا نفس المشاعر، من نحبه يحبنا بنفس المقدار، أصدقاءنا مخلصون، والمقرّبين منا ينظرون إلينا نفس نظرتنا إليهم.. هذا ما كنت أعتقده، وقد تبين لي أن هذا خطأ كبير. الحياة ليست عادلة، ليست فيها هذه الرفاهية، وقانون الحياة لا يحمي المغفلين.

لقد تعلمتُ الدرس، متأخرًا ربما، لكنني تعلمته.. أعوضّ الآن سنوات السذاجة بالكثير من المكر.. أصبحتُ أبني أسواري عالية، أبوابي موصدة، والنوافذ تغطيها الستائر. أبني وأشيّد، ولا أحد يستطيع اختلاس نظرة.

إنها العزلة.

هل أخبرتُكِ أنني لم أعد أثق بكِ أيضًا ؟

يؤسفني أن أقول هذا، لكنني لم أعد أثق بكِ، لم أعد أثق بمشاعركِ المتأرجحة. وكيف لي أن أفعل وكل يوم تصرّحين وتنفين؟ تلعبين النرد في قلبي، وفي كل مرة أكون أنا الخاسر الوحيد أنتِ تكونين صادقة فقط حينما تقولين لي أنني لا أمثّل لكِ شيئًا، أنني وجه كباقي الوجوه: لا يميزني شئ. لكنكِ تكونين كاذبة جدًا عندما تصرّحين بحبكِ لي، أرى هذا الكذب في عينيكِ، أراه واضحًا ودون عناء.

## عزيزتي إيفا

لم أعد أثقُ بكِ، لكنني لا أملك رفاهية فقدان الأمل... ففي النهاية، البشر يتغيرون، وما فشلتُ أنا في تحقيقه، ربما يحققه ليَ الزمن.



## عزيزتي إيفا

تسيطر علىَ أحيانًا فكرة الفناء، أن أنزوي وأغيب، أن أختفي. إنها فكرة مريحة، لا مسؤوليات، لا ضغوط، لن أكونَ مضطرًا للتظاهر بالحياة.

لكنني أجدُ نفسي، كالعادة، جبانًا، بالتأكيد لن أفعل هذا، وأبرر لنفسي من جديد أن الفناء ليس خيارًا صحيحًا، الأمر لا يستحق العناء.

هاها نعم، تذكرتُ نكتة حكاها لي صديق اليوم، كانت مضحكة، وكانت تشمل مصريًا وأمريكيًا هاها، نعم نعم وكان هناك فرنسي أيضًا، هاها، أم كان إنجليزي ؟

لستُ أذكر. لا يهم، أنا لا أتذكّرها الآن على أى حال، ربما أتذكرها يومًا ما فأحكيها لكِ .

اللعنة، فيم كنتُ أفكر ؟

لا أستطيع تركيز أفكاري، مشتت وضائع، يا إله العالمين، متى أصبحتُ كثير الشكوى ؟

أفتح صفحة البحث، أكتبُ فيها أسماءً عشوائية، أتطفل على الصفحات الشخصية للبشر، أقلّب في صورهم/منشوراتهم، أبحث في كلماتهم عن سلوى لستُ مقصودًا بها، أحاول أن أجد نفسي في ثنايا الصور، في أكثر الأماكن غموضًا، أبحث لدقائق تمرّ كسنوات، أملّ البحث، أخرج ولا أعود.

يا ربي. ماذا يحدث تحت فروة رأسي ؟

من أنا ؟



## عزيزتي إيفا

الحياة هي ثقب أسود كبير، يمتص الضوء والطاقة والأمل، دوامة عنيفة وعميقة لا تترك وراءها إلا الخواء والخوف.. ماذا كان يمكن أن يحدث لو كنّا أشخاص غيرنا ؟ لو عشنا حياة غير هذه ؟ هل كانت الأمور ستختلف ؟

الآن ونحن نتحدث، دعيني أصارحكِ بأمر ما: ربما تكون حياتي مرهِقة، ربما تكون أسوء مما أحتمل، لكنني أكثر جُبنًا من أن أتخلى عنها، أحاول أن أقنع نفسي أن الحياة ليست بهذا السوء، أتجرأ حتى على التظاهر بأن حياتي جميلة كنهر هادئ.. هكذا أتحمّل الحياة وأتحمّل نفسي.

اليوم كنتُ أقرأ عن سقراط، هذا الفيلسوف الخالد الذي قرر أن يقدّم حياته ثمنًا لأفكاره. كانت المحكمة قد حكمت عليه بالموت بتهمة إهانة الآلهة والتلاعب بعقول البشر، الموت أو أن يتخلى أن أفكاره، لكنه، ودون ذرة واحدة من الخوف والتردد اختار أفكاره.. قال لهم: «طالما أنني أتنفس وأملك القوة، لن أتوقف عن ممارسة الفلسفة"

يقول «فايدون»، أحد تلاميذه، في وصف لحظة الموت المشهودة: «أمسك سقراط الكوب المسموم بهدوء تام، من دون ارتعاشة أو تبدّل في لونه أو محياه، وضع الكوب على شفتيه واحتسى السم بمزاج رائق ودون أى انزعاج."

وهي لحظة خلّدها «جاك لوى دافيد» في لوحته الشهيرة «موت سقراط"

كان «سقراط» قد تنبأ قبل موته بأن أفكاره ستنتشر كالنار في الهشيم، وأن هذه الفلسفة التي قدّمها ستجد طريقها إلى الناس وستبقى خالدةً إلى الأبد.. وهذا ما حدث بالفعل.



## عزيزتي إيفا

عندما علم «سينيكا» الفيلسوف الروماني الشهير برغبة «نيرون»، الإمبراطور المجنون، في الخلاص منه لم يجزع ولم يخف.

كان الجندي المُكلف بالتخلّص من «سينيكا» قد زاره في منزله وأخبره بالأمر الإمبراطوري، وكان بعض تلاميذ الفيلسوف الكبير متواجدين بالإضافة لزوجته «باولينا» كان أول ما فعله الفيلسوف، عندما علم بالقرار، أن احتضن زوجته الواقفة بجواره بحنان، وهو حنان لا يتفق أبدًا مع رزانته ووقاره المعروفَين، وهذا ما أدهش تلاميذه الحاضرين.

لكن هذا لم يُثر دهشتها هي أبدًا، كانت تعلم كم كان يحبها، وكانت هي أيضًا تحبه أكثر من أى شئ. كان حبها قويًا لدرجة أن طلبت منه أن ترافقه في الموت، وكان حبه لها قويًا للدرجة التي جعلته يوافقها على هذا.

كانت فكرة أن تُرافقه أكثر إغراءً من أى فكرة أخرى.

لكنها لم تمت.. لم يسمحوا لها بهذا.. وهكذا رحل الفيلسوف وحيدًا، وظلّت هي وحيدة.

والآن ماذا ؟

تراودني أسئلة كثيرة وملحة؛ هل تحبينني للدرجة التي تجعلك تقدّمين هذه التضحية من أجلي ؟ هل يمكنكِ خوض هذا الدرب المظلم، والمشكوك في وجوده، لترافقيني ؟

وهل أحبكِ أنا للدرجة التي تسمح لي بموافقتكِ على هذه التضحية ؟

هذه هي أسئلتي.. ربما تكتبين لي لتجيبيني عنها.



## عزيزتي إيفا

ما الذي يفعله بنا الحب ؟

إذا أحببنا، هل نكون أشخاصًا أكثر تسامحًا ؟

الإجابة هي «نعم» بالطبع، نعم إننا نكون أكثر تسامحًا.. لا أتحدث هنا عن الحب بين رجل وامرأة.. إنما الحب في العموم.

الحقيقة أن هذا سؤال ساذج للغاية، وإجابته واضحة ويعرفها أى طفل صغير، لكنني سألتكِ، ربما، لأدفعكِ للكلام. سألتكِ ليكون لدى دافع لحكاية هذه القصة التي عرفتها مؤخرًا.

العدوان الأكثر قسوة للمسيحية كانا الشيطان ونيتشة. وربما لن أبالغ لو قلت أن «نيشتة» كان أكثر كُرهًا للمسيحية من الشيطان نفسه، على الأقل، الشيطان يقوم بعمله الذي خُلق من أجله، لكن نيتشة اكتسب كراهية عميقة لهذه الديانة.

كان يقول دائمًا: «المخدران الأكبران في أوروبا: الكحول والمسيحية»، وهي مقولة متسامحة جدًا إذا ما قارنّاها بمقولته الأخرى: «أعتبر المسيحية هي اللعنة الكبرى، الفساد المتأصل الوحيد.. يفعل المرء حسنًا حين يرتدي قفازيه عند قراءة العهد الجديد. هذا المقدار من القذارة يكاد يُرغم المرء على فعل هذا»

ويكفينا القول أن الشخصية الوحيدة التي احترمها «نيتشة» في «الإنجيل» كانت هي الحاكم الروماني «بيلاطس»، وهو، إذا كنتِ لا تعرفين، الحاكم الذي حكم بصلب المسيح.

لكن، وبرغم هذا الكره، كان «نيتشة» يحب أباه القس كثيرًا، كان يرى فيه خيرًا لم يره في أى بشريّ آخر، وعندما مات والده وهو في الرابعة من عمره قرر «نيشتة» أنه سيأتي يوم يكرّم فيه ذكرى أبيه.

جاء هذا اليوم بعد سنوات، عندما توفّر لـ «نيتشة» بعض الأموال، فجهّز لأبيه شاهد قبر كبير ونقش عليه بحروف كبيرة: «المحبة لا تسقط أبدًا».. وهي جملة من رسالة «بولس» الرسول الأولى.

هذا هو الحب، إنه الشئ الوحيد الذي يملك هذه القوة.. يجعلنا نتقبل ما نكرهه، نتجاوز عمّا نراه أخطاءً، وتتسع قلوبنا حتى يسكنها العالم بأكمله.



## عزيزتي إيفا

كنتُ أودُ لو خُلقنا في زمن آخر، زمن مختلف، نكون فيه كل ما لم نستطع أن نكونه في هذا الزمن.. نكون «كليوباترا» و «أنطونيوس»، ننتصر هذه المرة، نغيّر التاريخ، الذي سيكون واقعًا، نرسم انتصارنا على الماء، يكتبون أشعارًا عنا، عن حبنا، عنكِ، عن جمالك الأسطوري. ننتصر ونحكم العالم، ونمارس ديكتاتورية الحب على الجميع، نكون مسيحًا قبل مجيء المسيح: أحبوا أنفسكم/إخوتكم، أحبوا حتى تفنوا في الحب، حتى تكونون شخصًا واحدًا. نعيش وأسطورتنا تمارس فن الخلود.

أكون «قيس» وتكونين «ليلي».. تكونين لي، وأكون لكِ، نهرب إلى أرض لا يجدنا فيها أحد، نعيش حياةً بدائية، نمارس الحب بالفطرة، نمارس الحب على رمال الصحراء الساخنة، نمارس الحب دائمًا، الشمس تراقبنا، القمر يراقب أيضًا. أكتب معلّقتي لكِ، أذيّلها باسمكِ في كل بيت، ويقرأها العاشقون حتى آخر أنفاسهم.

نكون اللانهاية لـ «روميو» و «جولييت»، نكون هم دون موت، دون قسوة، دون منع وتحريم. ينتصر حبنا في النهاية ويسمو، يتناقله المحبون دون بكاء، دون تراجيديا النهاية. تكون قصة سعيدة يحكيها الرجل لمحبوبته وهي مستقرّة بين ذراعيه، تتمطى كقطة كسولة فيحتضنها أكثر.

لكن الواقع يستطيع إيقاظنا في كل مرة، والحلم يتوقف، دائمًا، في المنتصف. تضيع الرؤيا ويموت الخيال.

لكني أقول لكِ هنا والآن: إذا كان الواقع يرفض الاستجابة، إذا كان الواقع يرفض التغيّر، فإننا، معًا، سنعلّمه الانحناء.



## عزيزتي إيفا

مر وقت طويل منذ كتبتُ لكِ، عشرون يومًا بالتحديد. لا أخفيكِ سرًا أنني أحاول التحرر منكِ. أحاول التخلّص من هذا الشعور القاتل الذي يدفعني، كل يوم، للوقوف في شرفتي ومحاولة رسم وجهك على النجوم.

الأمل يتناقص كثيرًا عندما تظهر القسوة، وأنا أحببتكِ حقًا، أحببتكِ أكثر من أى شئ. لكي أن تتخيل مقدار ما تحمّلته من قسوة حتى أفقد الأمل تمامًا.

لماذا إذًا هذه الرسالة ؟

هذا يخص الموسيقى، وأنتِ تعرفين: في الموسيقى لا أستطيع الكتمان.

اكتشفتُ بالأمس أني أستطيع أن أخلق حوارًا كاملًا بيني وبينك، فقط، باستعمال كلمات «فيروز».. رسالة كاملة أستطيع كتابتها لكِ بالاقتباس من أغانيها.. هذا سبب آخر من الأسباب اللانهائية التي تكوّن حبي لـ «فيروز».. في اللاوعى أعتقد أني كنتُ أعرف هذا بصورة ما.

"فيروز» تمثّل كل المشاعر في أوجها، الحزن والفرح، الغضب والاستكانة، التمرّد والاستسلام، أقواس قزح والظلام القاتم.. أحسّت كل هذا وقالته في أغانيها. قالته بأجمل الكلمات.

ونحن ؟

نحن استقينا هذا الجنون الشعوري وآمنا به إيمانًا لا يتزعزع... هل تساءلتي يومًا كم كنا لنصبح باردين جافيين لو لم نعرف فيروز ؟

والآن، هل تستطيعين كتابة رسالة «فيروزية» موجهة إليّ ؟

أتمنى... أتمنى وأنتظر.



## عزيزتي إيفا

الفراغ يقتل.

عقلي لا يكف عن الضجيج، لا أنعم بالهدوء حتى في نومي، والعقل الصاخب هو اللعنة الأبدية.

كيف نعالج هذا السؤال: ماذا لو ؟

الاحتمالات اللانهائية للأمور، الطُرق الكثيرة التي نقطعها لنكتشف في النهاية أننا أخطأنا الاختيار. لماذا لا نستطيع أن نعيد حياتنا من البداية ؟ وهل كانت خياراتنا لتختلف وقتها ؟

كنتُ سأختار ألا أحبك.

قلبي الهش، المُرهق بحبك، المُعذب بالشوق إليكِ، قلبي لا يتوقف عن إلقاء اللوم فوق رأسي: «لماذا أحببتها ؟ لماذا اخترتَ الطريق الصعب ؟كان يمكنكَ أن تتجاهل شعورك، تقتله في مهده، تخنقه قبل أن يصرخ صرخته الأولى. لقد فعلتَ هذا من قبل فما الذي اختلف هذه المرة ؟ جبُنتَ وكانت هذه هي العواقب."

وأنا ؟

حسنٌ، أنا لا أجد ردًا يرضيه. هل لديكِ أنتِ ردٌ مناسب؟



## عزيزتي إيفا

القلب يعرف الطريق.

هكذا، لا يمكننا الهرب من القدر، كل الطرق تقودنا إليه.

القصة الشهيرة: شخصان وقعا في الحب، اقتربا، تمازجا فامتزجا. الأزهار تنمو، السماء تصبح أكثر زرقة. يدور الزمن، يفترقا، والطرق، التي تقاطعت يومًا ما، افترقت وتباعدت.

هكذا، وبعد أن يفقدا الأمل يتدخل القدر ليعودا معًا من جديد.

أحاول أن أختصر كل هذا وأقع في حبكِ من البداية، أوفّر عليّ، وعليكِ، ألم الفراق. الأيام التي سأفقدكِ فيها لن تكون محتملة، خُلقنا معًا ونظل معًا، ونبقى، رغم كل شئ، معًا. "كُنا نفترق إلي الأبد مرتين كل أسبوع"

لا يمكنني احتمال هذا الشعور أبدًا.

اكتبي لي.

اكتبي كثيرًا.. أريد أن أقرأكِ.



## عزيزتي إيفا

ترعبني فكرة الزمن، الوعى الذي يأتي متأخرًا، أن أستيقظ يومًا لأجد نفسي مُتعبًا، هرِمًا، شاب شعري وأنطفأت عيناى وملأت التجاعيد وجهي.

لم أعشِ حتى الآن، لم أعرف حبًا صادقًا، لم أجد الفرصة لأتغزل في حبيبتي بكلماتٍ أحفظها عن ظهر قلب. لم أمارس الجنس ولم أعرف شعور أن أدفن وجهي في صدر من أحب. الحياة تمضي دون توقّف، لا تنتظر أحدًا، والحال لا يتغير، كل يوم هو روتين جديد. بائس هو العالم الذي لا نستطيع فيه احتضان من نحب دون خوف، وأكثر منه بؤسًا هو العالم الذي لا نجد فيه من يحركون بداخلنا هذه الرغبة.



## عزيزتي إيفا

في واحد من أجمل مشاهد السينما نرى أبطال فيلم before midnight يجلسون حول طاولة الغداء: ثلاثة أزواج في مختلف مراحل العمر، ثم رجل وامرأة عجوزان.

المأكولات البحرية أمامهم، فواكه طازجة، بعض زجاجات النبيذ، مياه، وحب.

في هذا المشهد يتمثّل الحب في كل مراحله؛ المراهقة وبداية الشباب، النُضج، منتصف العمر، الكهولة.

الكل يتحدث. يتحدثون عن الطريقة التي تقابلوا بها، عن النظرات الأولى، عن شريك الحياة الذي اختاروه دون تردد، عن كلمة «أحبك» للمرة الأولى. الكل يتحدث بطريقة مختلفة، لكنهم جميعًا يتحدثون بشغف.

لماذا يكون الحب هنا مختلفًا ؟ لماذا لا يستمر ؟ لماذا لا يكون بهذه البساطة ؟ شخصان يلتقيان.. يقعان في الحب وتبدأ الرحلة... لا شئ يتم بسهولة أبدًا.

## عزيزتي إيفا

أفتقدكِ كثيرًا هذه الأيام... أتقنتِ فن الاختفاء وأصبحتِ خبيرة مسافات، لا تقتربين إلا بمقدار ما تثيرين في داخلي مشاعر الشوق، سراب لا أستطيع أن أضع يدي عليه. أنا وحيد، دائمًا... كنتِ موجودة يومًا، وكان هناك دفء. أيامٌ مجيدة لكنها ولّت، ولا يبقى سوى الوحدة، الوحدة الطويلة اللانهائية.



## عزيزتي إيفا

في البدء كان الرجل؛ وحيدًا بائسًا، لا هدف، لا طموح، يجوب الأرض دون جدوى، ثم جاءت المرأة؛ ساطعة لامعة، رشيقة خفيفة، تتكلم فتتناثر الزهور، تضحك فيقطع قوس قزح السماء.

هكذا ازدهر الرجل، الذي انطفأ من الانتظار.

أن تحب يعني أن تقول شعرًا دون موهبة، أن تحب يعني أن تسمع الشعر الرديء بشغف.

هكذا كانت حياتي من قبلك؛ جحيمًا لا يهدأ، انتظار لا ينتهي. أحصي الأيام والليالي هاربًا من الموت وفقدان الأمل. ثم ظهرتِ أنتِ، وابتسمت الحياة من جديد.

الآن، وقد وجد أحدنا الآخر، هلّا أتيتِ ؟ ألا تقدمين لي كتفك لأستند عليه وأنام حتى يفنى العالم ؟ ألا تعطيني شفاهكِ لأعوض كل ما فات من عمري ؟

اكتبي لي يا عزيزتي.



## عزيزتي إيفا

أوشك الليل أن ينتصف، الظلام أقبل منذ وقت طويل، القمر يملأ السماء لكنه، كعادته، لا يحب إزعاج المساء الهادئ، الوحدة تترصد في انتظار الفرصة.

في هذا الجو البارد تراودني رغبات عدة: دفء صدرك، ملمس جلدك الأملس تحت أصابعي، شعرك الذي يتسلل برقة إلى أذني ورقبتي، شفاهك وهي تراقص شفتاي. إنها أحلام اليقظة من جديد.

الحب يا عزيزتي، لو كان حُبًا، فإنه يقهر الصعاب، يطوّع الظروف، يكون حاضرًا حين نحتاجه، يكون مثاليًا بصورة يتضاءل أمامها العالم: أفكر فيكِ فأجدكِ أمامي. هذا هو الحب كما أفهمه.

لكننا ما زلنا نناضل للحصول على أقل الحقوق: أن أحتضنكِ أمام الجميع دون خوف، أن آخذ يدكِ بين يدي وأعبر بكِ الطريق، أن أجري معك، ببلاهة تامة، تحت المطر، ثم نلتقي في اليوم التالي مصابَين بالزكام.

هذا العالم يحافظ على قبحه بإصرار عجيب، لا يستجيب أبدًا لنداءات الجمال، لا يسمح بالجنون.

لكني أحبكِ، والحب يقتل اليأس. وإذا لم أستطع أن أحتضن جسدكِ وروحكِ، فإن كلماتي ستفعل.



## عزيزتي إيفا

كان البارحة طويلًا، عدتُ لمنزلي متأخرًا ونمت من شدة التعب.

أنام في وضع الجنين، أضم ركبتيّ إلى صدري، في هذا الوضع لا تطاردني الكوابيس. استيقظتُ كالعادة فزعًا، كان هذا عندما حاولت أن أحرك قدمي فوجدتها متصلّبة لا تتحرك. شلل تام. للحظات انتابني شعور جارف بالحزن، الهشاشة التي تضخّم كل شئ، عرق غزير وبرود يسري في عنقي.

لكن، وكما الحياة، تحرّكت قدمي المشلولة.

تُخيفك، تهينك، تخنق الأمل داخلك، لكنها لا تسمح لك أبدًا بأن تخسر كل شئ، لا تدفعك للحافة، تترك دائمًا خيطًا رفيعًا حول رقبتك.

أحتاجُ إلى دافع.. أريد شيئًا جديدًا

الشغف أو الموت.. ربما تكون هذه هي المعادلة.



## عزيزتي إيفا

ماذا يحدث لو تركنا كل شئ وهربنا ؟

المسئوليات التي تُثقلنا نتركها لغيرنا، البلد الذي لم يعد لنا نغادره. الأصدقاء نهجرهم أيضًا. يرافقنا الحب، الحب فقط.

جزيرة بعيدة وسط المحيط، طيور النورس تملأ السماء كسحابة ضخمة، نجلس على شاطئ أزرق، رمال ناعمة، نخلات كثيرات في الخلفية. نراقب الغروب والشمس تخفت، وفي انعكاسهما على مياه المحيط الهادئة نرى أنفسنا.

كلوحة فنان مبتدئ يجرّب حظه.

العمر فيما مضى، مضى دون جدوى. كنتُ وحيدًا، وكنتِ أنتِ غائبة. كان العالم رماديًا، كان الشجر رماديًا، البحر والعمر.

الآن يبتسم العالم، لكنها ابتسامة صفراء/نصف ابتسامة. لا يقدّم القدر شيئًا إلا وينزعه باليد الأخرى. هكذا افترقنا. بيننا أبواب وقضبان وصحراء شاسعة ومئات الكيلومترات.

يا عزيزتي.. أين أنتِ الآن ؟

تحدثي إليّ.



## عزيزتي إيفا

هذا الغشاء الكثيف من الكآبة، هذه السحابة الثقيلة، هذه السوداوية، هذه الحياة تُسمّى «نداء استغاثة». عندما يتساقط الجميع من ذهنك، تتعلم أن تكون وحيدًا. هكذا هي الحياة.

لكن الموت هو العدو الأكثر قسوة، لا يمكنك أن تواجه هذا وحيدًا. في هذه اللحظة يبدأ العقل بالتصرف على طريقته الخاصة: يرسل رسائل الاستغاثة للجميع: أنقذوني.

في الرواية التي أقرأها الآن نرى «نيتشه»، هذا العملاق المتجهّم، شاربه الكثيف، عينيه القويتين الصارمتين، كراهيته الشديدة للعالم، نراه راقدًا على سريره يحتضر، يرفض المساعدة التي يقدّمها العالم له، يريد أن يموت في صمت، دون ضجة. لديه الكثير ليقدمه للعالم، لم يكن مستعدًا للرحيل بعد، لكنه قرر أن الموت لن ينال منه صرخة ألم.

لستُ نيتشه، لم أقدم شيئًا للعالم، لا إنجازات، لا أفكار، لا ذكرى.

جئتُ للعالم دون رغبة مني، لكني سأرحل عندما أختار هذا. تنقصني الشجاعة، لا أعلم ماذا بعد الموت، ولو علمتُ لانتهى الأمر منذ زمن طويل .

كل شئ جاهز ومُعدّ، يبقى أنا والخوف يلازمني، وعندما نفترق ينتهي الأمر .

وها أنا أحاول .

والآن، كيف حالك؟



## عزيزتي إيفا

يخطر ببالي أحيانًا/أتخيلني وقد أصبحتُ وحيدًا في عالم آخر، بعيدًا عن البشر والضوضاء والخرافات. أجد كرسيًا فأجلس، قبّعة قبيحة فأرتديها، حذاءً ممزقًا فأنتعله، وأتأمل.

أمامي يتكوّن شخص غريب، ببطء. شخص لا أعرفه، يجلس في الكرسي المقابل، يشبهني كثيرًا، لكنه لا يشبهني.

أنقل إليه ما يثقلني؛ الهموم، السنوات الطويلة، خيبات الأمل.

أحكي وأحكي حتى يبحّ صوتي. وهو يستمع، وأنا أصبح أكثر خفة.

ويأتي ذكرك، وذكراكِ لا تغيب .

أحكي له عنكِ، عني.. أحكي له عنا. وهذا الوجه الجامد الوقور يفقد صلابته ويتحرك: ابتسامة على استحياء، ثم يبتسم .

يضحك حينما أخبره عن ألاعيبنا الصغيرة، مشاكستكِ لي، تعمّدكِ الدائم أن تناديني باسم غير اسمي.. يضحك، وأضحك.

ومن يضحك وحيدًا يتذكّر آثامه.

ماذا الآن ؟

ألم يحن الوقت كي نلتقي ؟



## عزيزتي إيفا

الساعة الآن الحادية عشرة والنصف، أردتُ أن ألقي عليكِ تحية المساء قبل أن ينتهي اليوم. إنه وقت قبلتنا المعتاد، هل نختلف ؟

تريديني أن أقبل جبهتكِ، بينما أريد أنا أن أقبّل شفتيكِ. تريدين أمانًا، وأنا أشتهيكِ. تحلمين بالخلود للنوم بين ذراعي، وأحلم أنا ألا ننام في ليلتنا هذه أبدًا.

إنه وقت الحديث. النجوم تصبح براقةً أكثر. القمر يقترب حتى يكاد يصطدم بالأرض. ينام البشر وتستيقظ الطبيعة. إوقات كهذا هي ما تجعلني أتمنى لو كنا نحن حواء وآدم. وحدنا في هذا العالم الشاسع، وحيدين دائمًا، رفيقين أبدًا.

لكن لا عليكِ يا عزيزتي، يمكنكِ أن تخلدي للنوم. سأبقى هنا ممسكًا بيدك، أمرر أصابعي بين خصلات شعرك، أراقب حركات صدرك وأنتِ تتنفسين، متخيلًا كل الأحاديث التي كنا لنخوضها/الأغاني التي كنا لنغنيها لو كنتِ معي.



## عزيزتي إيفا

كلما أتذكّر هذه السنوات التي كنتُ فيها واعيًا، وكنتِ أنتِ فيها غائبة، ينتابني حزن عميق يلقي بي على الفور في ظلمة الكآبة.

أين العدل في هذا العالم؟

هناك أسطورة قديمة تقول أن الله خلق الرجل والمرأة في وقتٍ واحد، كانا كيانًا واحدًا متماسكًا، ثم فصل الله بينهما، أعاد ترتيب الورق، خلق العشوائية والصُدف، وتركنا نجرّب حظنا.

ولأننا موصومان بالحظ السئ، تأخرنا في اللقاء. العالم يتحرك، الأرض تدور، الأيام تتعاقب، وأنا وأنتِ لا نلتقي. في هذا الوقت لم أعرف معنى أن تكون حياتي سعيدة، لم يكن لدى ما أقارن سعادتي به. كانت الأيام تمضي، روتينية، مملة، وأنا أعيشها دون وعى، دون اهتمام، دون هدف .

ثم ظهرتِ أنتِ .

## عزيزتي إيفا

حان وقتُ الانتقام، هذه هي اللحظة التي نخرج فيها للعالم لسانينا، نخلق ذكرياتنا، نتشابك ونختلط، نعود كيانًا واحدًا، ولا ننفصل أبدًا.



## عزيزتي إيفا

سمعت اليوم أغنيتنا المفضلة، أنتِ لم تسمعيها بعد، لكنها ستكون المفضلة لديكِ لأنها المفضلة لدى.

فكرت: لو كان لي أن أكتب أغنية لما أردتُها أن تكون غير هذا، إنها تصفنا، تصفكِ، تصفني، لا أعلم، على وجه الدقة، ما وجه الشبه بينها وبينك، لكنها تشبهك كثيرًا؛ غامضة قليلًا، رقيقة، تأتي فجأة وتخلّف وراءها سعادة وبهجة لأيام طويلة.

اعتدتُ أن أفهم الأغاني على طريقتي الخاصة، أستمع جيدًا وأكوّن رأيي، وقبل حتى أن أعرف الكلمات أكون قد خلقتُ قصة تناسبها، قصة كتابتها، لمن كُتبت، لماذا كُتبت، كيف، متى.

هذه الأغنية كتبتُها أنا لكِ، في عالم آخر ربما، في زمن آخر، لأنني، وأنا أسمعها للمرة الأولى، وجدتُ نفسي أقرأ الكلمات في عقلي، أعرفها، أحفظها، هذه كلماتي وقد عادت إليّ.

لا أعرف كيف أرسلها لكِ في رسالة، لابد للحن أن ينطلق.

أتوقع ردك: ستقولين أجلّها حتى نلتقي.

حسنٌ، سأفعل، لكني سأسمعها بما يكفي لكي يحبها كلانا، لكي نذوب في كلماتها ونلتقي هناك، في العالم الآخر.



## عزيزتي إيفا

لقد يئستُ من هذا الحب.

ما الذي يحدث؟ ماذا عليّ أن أفعل حتى أراكِ؟ كم جدارًا يجب أن أتسلق، كم جبلًا أزحزح حتى أصل إليكِ؟ أحتضنك، أشعر بدفء وجهك على صدري؟

يا ربي، ماذا فعلتُ في حياتي حتى يكون الأمر بهذه الصعوبة؟

أنتِ لا تسهّلين الأمور أبدًا، تراوغين، ناعمة تهربين من بين أصابعي، تختبئين كطفلة، وأنا، كأحمق أعماه الحب، أبحث في كل الأماكن الخاطئة. أقلب الأحجار، أحفر، أبحث عن ظلك وسط ظلام دامس.

لقد يئست، لم أعد أريد حبًا خياليًا، لم يعد لدى هذا الطموح، أريد فقط حبًا عاديًا، لقاءً واحدًا، واحدًا فقط، نشاهد فيلمًا معًا، نتمشى قليلًا كأى حبيبين، نختلس قبلة في حديقة، نتعرّض للمضايقات من الباعة الجائلين ونتهاتف ليلًا لأخبركِ كلامًا أخبرتكِ به من قبل.

ألا يمكننا تحقيق هذا؟ ألم تملّي من المراوغة؟



## عزيزتي إيفا

اعتدتُ أن أبني الحواجز، الأسوار العالية حول نفسي، حراس مسلحون، كلاب حراسة، أسلاك شائكة، ممنوع الاقتراب. أبعدتُ الجميع عني.

لحظة رؤيتك، تحوّل كل هذا إلى هباء منثور، انهار.

الحب يغرينا بسعادة البدايات، لا أحد يمكنه مقاومة كل هذا الكم من السعادة، تجد الابتسامة طريقها إلى القلوب دائمًا. أقم ما شئت من أسوار، لا شئ يصمد أمام هذه العاصفة.

سلّمتُ نفسي، راضيًا، لهذا الشعور، فتحتُ لكِ الأبواب على مصراعيها، دخلتِ أنتِ وأثرتِ عاصفة لا تهدأ، لا شئ ظل في مكانه.

وقلبي، الذي كان قادرًا على مقاومة الحزن والأسى، لم يستطع مقاومة الحب .

أراكِ الآن وأنتي تقرأين هذه الرسالة، تبتسمين ابتسامتكِ الماكرة، ترفعين رأسكِ بفخر.

كان الانتصار مدويًا، استطعتِ إنهاك هذا القلب الصلب، رفعتي رايتكِ فوق أنقاضه .

كل هذا يؤلمني، لكني لا أملك من أمري شيئًا .

هُزمت وانتهى الأمر.



## عزيزتي إيفا

"ندمي الوحيد في الحياة هو أنني لم أكن شخصًا آخر."

تدور هذه الجملة في رأسي منذ أيام. أراقب الناس، شخصيات التلفاز، أبطال القصص وأقول: ما الذي يقصني حتى أعيش هذه الحياة؟ لماذا تكون حياتي بهذا الملل؟

وأجد نفسي أفكر في شئ آخر: ماذا لو كانت هذه الحياة هي جزء من رواية، خلفية لرسمة، مشهد من فيلم طويل للغاية، فيلم ممل لا أحداث فيه. ما الذي يريده المخرج؟ كيف سينهي تحفته الفنية السخيفة؟

لهذا الأديب رغبات سادية شنيعة، كتبني في فصول تبعد آلاف الصفحات عنكِ، أبعد بيننا بحواجز وطرق ملتوية، لا يريدنا أن نلتقي، نتقارب فقط، نعرف ان كل منا موجود، كل منا حي يتنفس، لكننا لا نتلامس، هذه اليد لن تتحسس نعومة جسدك...

إنني أتحرك داخل ناقوس زجاجي، مساحة ضيّقة محدودة، هناك رغبة بالتمرد لكنها لا تكتمل؛ لا يمكن لشخصية روائية أن تصارع خالقها .

لستُ مستسلمًا ولا انبطاحيًا، لكني لم أعد أعلم أى شئ.

كيف ننجو من هذا الفراق؟



## عزيزتي إيفا

هناك دائمًا فجوة بين الخيال والواقع، ثقب واسع، يتّسع أكثر مع كل محاولة فاشلة للقاء. ترسمين الخطط، ترسمينني في مخيّلتك، تعتقدين أنني حالم، رقيق، طلق اللسان، أصب الكلام الجميل في أذنيكِ، مبهر، أملك من الحكايات مالا ينتهي. كل هذا يسعدني، لكنه يضيف عبئًا جديدًا على قلبي.

كيف يمكنني أن أكون قدر هذه التوقعات؟ كيف أكون فارسكِ في الغرام؟

لدى من الحكايات الكثير، لكنها تنتهي. عندما أحببتكِ اكتسبت القدرة على الكلام، اكتسبتُ القدرة على التغزّل في عينيكِ لساعات طويلة، أصبحتُ أكثر حلمًا ورقة، أراقب الطيور والفراشات وأكتب القصائد استعدادًا للقاء .

لكنني بشر، وكالبشر، لدى عيوب. ما الذي أقوله في لقاءنا الأول؟ كيف أستعد لشيء كهذا؟ كيف أتخلص من رهبة الوقوف أمام عينيكِ دون أن يهتز قلبي وتتراقص قدماى؟

ألا يمكننا الاكتفاء بقبلة؟ عناق طويل؟ صمت لا يقطعه شئ، ويدكِ ترقد في راحة يدي؟



## عزيزتي إيفا

لا أحب أبدًا أن أترك مساحةً دون أن أملأها، فراغًا دون أن أكمله، صفحة بيضاء إلا وكتبتُ فيها. لهذا أكره الكلمات الغامضة، أكره المصطلحات الرنانة، لا أطيقها. أخلق لها، في ذهني، معنىً جديدًا، لا يهم أن يطابق معناها الحقيقي، لكنه يكفيني لأتخلص من الحيرة.

السريالية: مشهد طويل وعبثي، لا يحمل أى معنى للناظر من بعيد، كرجل وامرأة ينظر كل منهما إلى الآخر بحنق. إذا اقتربت، تجد أن الصورة أكثر شمولًا وعمقًا مما تظن: حبيبان في لحظة الفراق، يكرهان الزمن، يكره كل منهما الآخر، لكن كل منهما يذوب عشقًا .

الديماغوغية: رجل يحاول اقتناص قبلة من حبيبته. يقدّم لها الأدلة والحجج، يحاول إقناعها، والحب لا يحتاج إقناعًا. لكنها تخافه كثيرًا، لا تثق به، رأته بالأمس، بينما يتناولان الغداء، ينظر بشهوة إلى امرأة في الطاولة المجاورة.

اليسارية: امرأة متمردة، لا تتمرد على المجتمع/الأهل/الرجل، تتمرد على نفسها. نفسها الجامدة الصلبة التي لا تستطيع أن تستشعر حبًا، عيناها اللتان لا تختلسان نظرة إلى رجل أعجبها، قلبها الذي لا يرف لنسمة باردة. تستسلم لمشاعرها وتثور .

الحب: حوار بين شخصين، طويل، لا يتكرر، لا يشوبه الملل. المرأة تحكي، عن أهم الأشياء وأكثرها تفاهة، والرجل يستمع باهتمام لا يتغيّر، وتتسع ابتسامته مع كل كلمة جديدة .

أريد الآن أن أحبك للأبد.



## عزيزتي إيفا

يبدأ الحب بعبارة، تشبيه، جملة عابرة تُقال دون أن تعني شيئًا بالضرورة، تحرّك جبالًا شاهقة وتثير إعصارًا من المشاعر التي لم نعتقد يومًا بوجودها، تُغرِق القلب في دوامة من التساؤلات الجميلة/المحيرة.

كانت الجملة، في قصتنا، هي أنكِ تحبين مقطوعة "Zefiro torna" للإيطالي الشهير Claudio Monteverdi.. كانت المرة الأولى التي أسمع أحدًا غيري يشيد بها، ولكِ أن تتخيلي مقدار سعادتي.

هناك امرأتان تغنيان بلغة إيطالية/لاتينية على ما يبدو، كلام لا أفهمه. لم أهتم يومًا بمعرفة ما تقولانه، لا يهم، جمال الموسيقى نابع من كونها لا تعرف الكلام أبدًا.تحرّك المشاعر دون الحاجة للفهم .

كل نقطة التقاء هي مساحة أخرى للحديث، يمكننا أن نبني عليها حوارًا كاملًا، لأيام طويلة. تترك هذه المقطوعة في داخلي أثرًا لا يمحي، طريق للخلود، تزرع الورود في روحي. منذ ذلك اليوم اختلفت نظرتي، أصبحتُ أسمعها وأنا أرسم حياتنا كاملة، أراها أمامي: عذبة ونقية كما لم تكن من قبل.

جميلة هي الموسيقى، أليس كذلك؟



## عزيزتي إيفا

هل تعرفين ما هو شعور أن تُستنزف من الداخل ؟ أن تفقد طاقتك تدريجيًا حتى لا يبقى في داخلك أى قدرة على المقاومة ؟ .. اليأس المطلق الذي يأتي بعد عناء، والنظرة الزاهدة للحياة والتي تأتي بعد حرمان طويل.

أرواحنا تمزقت إلى آلاف الشظايا الغير قابلة للإصلاح.

بالتأكيد تعرفين هذا الشعور. أنتِ فتاة في نهاية الأمر، ولا توجد فتاة على وجه هذه الأرض لما تعاني من هذا الشعور في فترة ما.

حسنٌ، هذا هو شعوري مؤخرًا: إنني أفقد نفسي، بقايا الثقة التي كوّنتها على مدى السنوات الماضية احترقت وتناثرت في وجه الريح. لم أعد أعرف نفسي، ولم تعد نفسي تعرفني .

في بداية اليوم، أستيقظ مشحونًا، أفضل حالًا، سعيدًا إلى حد ما، أبتسمُ على استحياء، لكن الساعات تمضي، والكآبة تتكاثف كسحابة ثقيلة لتُمطر، في آخر اليوم، سوادها فوق رأسي.

أنا أحتاج إلى دافع يجعلني أستيقظ في الصباح، أكمل يومي، أواجه متاعب العالم، وأنام على أمل أن الأمور ستكون أفضل غدًا. أحتاج إلى حافز كهذا، أصبحَ ضرورة حياة.

أنتِ تمثّلين هذا الدافع. أخبرتُك من قبل أنك السبب في أنني مستمرٌ في هذا العالم، لكنكِ لستِ موجودة على الدوام، ترحلين ثم تعودين، ثم تقررين أنني لا أستحقُ حبكِ فترحلين، ثم تعودين بعد أن تملّي الوحدة. وأنا ؟ حسنٌ، أنا لا أملك القوة/الرغبة/الإرادة لأمنعكِ .

الحقيقة أنني لا أملك القوة لأى شئ، لقد فقدتُ روحي.



## عزيزتي إيفا

إننا لا ننتظر شكرًا من أحد، لكننا نحب بالتأكيد أن يخبرنا شخص ما بأن ما نفعله يستحق، حتى نجد في أنفسنا الطاقة التي تدفعنا للاستمرار.

نحتاج مساحة للتنفس أحيانًا، لكننا نتمنى أن لا نجد أنفسنا وحيدين، مهمّشين وضائعين. إنه الصراع الدائم؛ الوحدة أم الخذلان المتكرر؟

بالأمس التقينا، حققنا أحلامنا، أحببتك لأطول فترة ممكنة، رأيتُ في عينيكِ أنك تحبينني، لماذا التظاهر بغير ذلك إذًا؟ أى معركة تحاولين الفوز بها؟

ليس من الأخلاق التباهي في وجه خصم أعزل.

لا وقت، الحياة لا تتوقف، كل لحظة تمر دون قبلة/عناق تفقد معناها، صحراء شاسعة أسير فيها وحيدًا.

متى تقررين أن تعيدي الحياة لهذا الجسد الميت؟



## عزيزتي إيفا

يخيفني دائمًا أن المشاكل لا تتوقف عن التجدد، تخلق نفسها، وكالعنقاء، تنهض وترتفع.

المحطات التي مررتُ بها حتى أكون هنا، الكثير جدًا من المشكلات، غابات من الآلام، بحار من المعاناة. تعلّمت أن أتجاوزها جميعًا، نضجتُ دون إرادتي، كان الزمن يخلق مني إنسانًا جديدًا، إنسانًا يستطيع أن يحمل مسئولية حب كالجبال، أصبحتُ أكثر بؤسًا، لكن أكثر هدوءًا، أكثر تعقّلًا.

كأنما نُكافأ، بعد كل هذا الوقت وهذه المعاناة، بلقاء. ربما يكون القدر ماكرًا، لكنه كريم أيضًا، وحين يتجاوز، يمنح بسخاء. يقدّم الفرص، يذيب الحواجز ويسمح بالتقاء الأيادي والشفاه.

كان هناك من يناديني حتى أنهض كلما وقعت، كان هذا أنتِ.



## عزيزتي إيفا

إنني أتحرر.

أشعر بنفسي أخيرًا، أتنفس بحرية للمرة الأولى، أتخلص من كل ما التصق بي من حزن، أنزع ثوب الكآبة.

إنها لحظات مجيدة.



## عزيزتي إيفا

لنقل أنه هناك رجل وامرأة، لنتخيّل أن المرأة ذات شعر ذهبي، طويلة الساقين دون إفراط، عينان واسعتان بُنيّتان، لنقل أن المرأة تمارس الرقص، لنقل أنها ترقص في هذه اللحظة، ومع كل حركة يتراقص شعرها الكثيف بحرية، يلمس ظهرها لمسات حانية سريعة، يلتف حولها في هيام، كأنما هي الشمس، وكل ما في المحيط يدور حولها. الرجل يجلس في ركن قريب، يراقب المرأة بشغف، وجسده يرتعش رغمًا عنه.

تتظاهر المرأة بأنها لا تراه، ترقص كأنما هي نهاية العالم، والرجل يضحك ويبكي.

الأضواء تسطع، الموسيقى تتسارع، والمرأة تدور دورتها الأخيرة. القمر يقترب من النافذة.

يخرج الرجل من ركنه الخفي، يقترب منها وهو يعرج عرجًا خفيفًا، يمسك كتفيها، ويقبّلها بشهوة، ويبكيان معًا، يقبّلان بعضهما وهما يبكيان، يقبّلان كحبيبين في لحظة الفراق .

لنقل أنه هناك امرأة ورجل. لنقل أنهما أنتِ وأنا.



## عزيزتي إيفا

الخامسة صباحًا، لا أستطيع النوم. عقلي يعمل بسرعة الصاروخ، يخلق الاحتمالات، يرسم الخطط لمشاريع مؤجلة، يتذكّرك. الأرق وحش لا يهدأ، الجسد مُتعب والعقل لا ينام، يجب أن يستخدم الطغاة سلاحًا كهذا في السجون، ستتدفق الاعترافات كالسيل. هذه طريقة لا تفشل.

الجو بارد قليلًا، وفي أوقات كهذه يكون دفء جسد آخر إلى جوارك أجمل من أى شئ آخر. رسائل يرسلها الجسدان في صمت، اللمسات تتحول إلى مضخة وقود هائلة، الحب يتكون ويتضخم ويصبح استيعابه وفهمه ضربًا من الخيال .

هناك دائمًا، في الحياة، مساحة من الظلم. تتسع المساحة أو تقل، لكنها موجودة وحاضرة. ما الذي يمنع وجودك إلى جواري الآن؟ قيود؟ تقاليد؟ خوف؟

لا يهمني كل هذا، لا أخافه. لقد تحررت من هذه القيود منذ زمن، لكنكِ لم تتحرري. تبررين هروبك المستمر بـ «القيود» و «التقاليد» و «الخوف»، وتخلقين، في كل مرة، لنفسك، طريقًا للهرب. تتسللين من بين أصابعي كحفنة من الرماد وسط عاصفة.

وأنا ؟

"أنا أيضًا، أنا لا شئ يعجبني، لكني تعبتُ من السفر"



## عزيزتي إيفا

روحي مليئة بالثقوب،

فراغات شاسعة،

وأنتِ فقط من تستطيعين تعمير هذه الصحراء القاحلة.



## عزيزتي إيفا

لم يُخلق الحب رغبةً في الهدوء، لا يجب أن يختبئ الحب في الظلام، لا يجب أن يستتر في الأزقة الضيقة البعيدة. الحب مخلوق جامح، عنقاء نارية ترفرف بجناحيها، وحش يزأر دون توقف.

هذا هو الحب ولا شئ غيره.

الواقع، هذا اللعين، ألغى هذا الاحتفال الرائع، رسم للحب صورة أزلية لا تفارقه، اختار الطريق وفرض علينا السير فيه. «هذا هو الطريق الوحيد» قال لنا. ما الخيار، أمام رفيقين في الحب، سوى الاستسلام؟

يمكننا أن نعيش حبًا سهلًا، واقعيًا، جميلًا ومحدودًا. سنكون سعداء بالتأكيد، لكن إلى متى؟ بعد أى عدد من القُبلات ندخل الروتين؟ متى ينفذ هذا الرصيد؟

ويمكننا أن نقاوم، نعيش هذا الحب بطوله وعرضه، نغامر دون خوف، نستسلم لهذا الجنون المطبق، هذه الرغبة الجامحة. يمكننا أن نُقبّل دون توقف.



## عزيزتي إيفا

يمكنكِ أن تكوني/تفعلي كل ما أكرهه،

ورغم ذلك سأحبكِ دون ذرة واحدة من الشك.



## عزيزتي إيفا

عاش، على هذه الأرض يومًا، فيلسوف شاب، ضئيل الجسد لكنه شديد الذكاء، جاءت أولى كلماته وهو طفل في الرابعة، لم يحتج الكلام، لم يتقنه، تعلّم الصمت والتأمل.

كان لهذا الفيلسوف فلسفة غريبة: كان يعتقد أن هذا العالم هو نسج خياله، هذه الحياة تدور داخل رأسه، البشر من حوله خلقهم عقله إتقاءً للوحدة، القمر فوق رأسه ليشعر بجماله، الشجر المرتفع ليعلّمه التواضع. كانت فلسفة غريبة، ولأنها غريبة لم تجد من يؤمن به غيره.

غير الغرابة كان هناك سبب آخر أشد أهمية، إذا كان كل هؤلاء البشر هم صنع خيالك، ما الذي يجعلنا مريدين لمن يظن أننا غير حقيقيين وأننا، فقط، مرايا تعكس صورته؟

هذه مقدمة طويلة لإيهامك بأهمية ما أقول، لكن ما أريد قوله فعلًا هو أنني، مؤخرًا، أصبحتُ مؤمنًا بهذه الفلسفة، وخائفًا منها. ماذا لو كان هذا العالم صُنع خيالي؟ ماذا لو كان كل هذا غير حقيقي؟ ماذا لو كنتِ أنتِ غير حقيقية؟

أي جحيم هذا؟

هذه هو هاجسي الأخير، الهاجس الأشد قسوة. لكنه، ورغم قسوته، هش للغاية، يختفي دون أثر عند رؤيتك، فهلّا أتيتِ؟



## عزيزتي إيفا

حين تمطر السماء، حين يكون الجليد في كل مكان، عندما تكونين وحدك، تخلى عنك الجميع، شعور الفشل يقتلك، عندما يحدث كل هذا سأكون هناك، أحمل مظلتي في يد، وفي يدي الأخرى حضنٌ دافئ. سأكون حاضرًا، وسأهمس في أذنيكِ بكل ما أملك من حب.



## عزيزتي إيفا

أمارس هذه الأيام هواية محببة وهي الانتقام من الماضي. لستُ المسيح ولستُ بوذا، لم أتعلم كيف أعفو وأصفح، ولا أحب أن أتعلم، أريد لأعدائي الموت/الألم. هذا ما عانيته منهم، فليذوقوه.

ربما تكرهينني الآن، ربما ترينني وحشًا لا يرحم، لكنك لستِ مُخولّة أبدًا أن تحكمي بهذا، ليس لكِ الحق. لم تُعاني ما عانيت، لم تجرّبي شعور الموت الذي عشته، مئات المرات. لم تعاني من أرق لا يهدأ ولا يستكين.

جرّبي هذا ثم تعالى وأخبريني عن العفو والمسامحة .

كيف نقتل أعداءنا دون أن نقتلهم حقًا؟ فكري معي. هل تعرفين؟ لدى إجابة جاهزة : بأن نكون بخير، نكون أفضل، بأن نخبرهم، دون كلمات، بأن الحياة لا تتوقف عليهم، بأننا نتحرك، نأكل، نمارس الحياة حتى آخرها دون توقف. هكذا نخرج لهم ألسنتنا، نصفعهم دون رحمة. نحوّل آلامنا إلا انتصارات مدوّية .

ومن رحم المآساة نُولد من جديد.



## عزيزتي إيفا

بيني وبينك آلاف الأميال، أنا هنا، أنتِ هناك.

لا أستطيع لمسكِ، لا تصلني رائحة شعركِ.

يوم حزين، أليس كذلك؟



## عزيزتي إيفا

روحّك تحاوطني. هذه الفتاة جميلة لأنها تملك عيناكِ، تلك فاتنة لأن لها قصة شعرك، كل الجمال منكِ، كل الجمال لكِ.

ربما أكون مهووسًا، لا أحد يحمل في قلبه كل هذا الحب دون أن يُجنّ، دون أن يفقد اتزانه ويهيم على وجهه كصوفي لا يجد ربه. وربما أكون محقًا، وتكونين أنتِ، وهذا وصف لا مبالغة فيه، فينوس بشرية، إلهة الجمال تمثّلت وتشكّلت، الكمال الأنثوي في صورته الأكثر روعةً وبهاءً.

في مكان ما، في زمان غير هذا، كتب «كافكا»، المجنون والبائس، إلى حبيبته «ميلينا“: لستُ أظن أنني سأجرؤ على أن أقدم لكِ يدي أيتها الفتاة، تلك اليد الملوثة، والمعروقة، المهتزة، المترددة، التي تتناوبها السخونة والبرودة.

وها أنا أقول لكِ:

هذه يدي، ممدودة إليكِ، دائمًا وأبدًا، في انتظار أن تمدي إليّ يدكِ وتنقذينها/تنقذينني من قسوة الانتظار.



## عزيزتي إيفا

تنبت في داخلي فكرة، وأفكار منتصف الليل لا يمكن اقتلاعها أو تهميشها، جامدة كصخرة لا تتحرك: نحن عاديون جدًا، طبيعيون جدًا. لا نملك أى شئ، ولا نستطيع إبهار أحد. ماذا يفعل، ذلك الذي لا يملك أى شئ تقريبًا؟

دعيني أقولها صراحةً: الحب ريشة في ميزان الحياة، وبالحب، وحده، لا نستطيع المتابعة.

نحتاج فنًا وموسيقى وكتب، نحتاج رغبة في الحياة، نحتاج شغفًا متجددًا لا ينضب. كيف أجمع كل هذا، وأنا الذي أحمل قلبي بين راحتيّ في انتظار غدٍ لن يكون مختلفًا عن اليوم؟

ثقة تغوص في أعماق الظلام، راحة نفسية تغادر كل مساء، أيام تنتهي لتأتي أيام أشد قسوة وأقدر على الإيذاء.

وأنتِ؟

تتركيني أواجه كل هذا الخوف وحدي.



## عزيزتي إيفا

لم أخبركِ هذا من قبل، لكن في كل مرة نلتقي، وعندما تلمسين بيديكِ الناعمتين يدي، في عفوية تامة، كان قلبي يدق بعنف، يدق كأنما هي النهاية، يدق كما لو أنه وجد ضالته أخيرًا.



## عزيزتي إيفا

يحدث أن نموت قبل الأوان، نفقد الرغبة والشغف، الأغاني التي كانت تطربنا لم تعد كذلك، الأشخاص الذي اعتادوا إسعادنا رحلوا، الأيام الجميلة مضت بغير رجعة. هذا الموت هو الأكثر إيلامًا، ليس فقط لأننا نموت قبل الأوان، لكن لأننا لا نفقد، في هذه الحالة، إلا الإحساس بالسعادة، كل المشاعر تتضخم، وحده الإحساس بالسعادة هو ما يتضاءل.

اليوم هو السبت، ١٨ مارس ٢٠١٧. كم من الأيام مرّ وأنا على هذا الحال؟ كأنه الأبد، أعيش منذ بداية الخليقة في دوامة، الأيام تعيد نفسها دون اختلاف .

تعرفين، مات سيوران في عمر الرابعة والثمانين، وقبل هذا ظل، لعقود طويلة، ينعي حظه ويندب حياته ويبكي دون جدوى. لم يملك الجرأة على الرحيل، عذّبته الحياة دون توقف، ولم يجد سببًا كافيًا ليهجرها .

يبدو أن هذا هو مصيرنا جميعًا: حياة خالية من الحب.



## عزيزتي إيفا

إننا حصون متحركة، قلاع وأسوار عالية، أبواب ضخمة لا يحركها شئ، الحب فقط قادر على ذلك.

أسواركِ عالية، عالية. كيف يمكن لي أنا أتسلّق كل هذا؟ كيف يمكن اختراق كل هذه الحصون؟

يا إلهي، كم أنا متعب!

إننا نعتقد، خطأً، أننا نستحق الحب، فقط لأننا نحمل في قلوبنا حبًا، نلوم من لم يحبوننا لأنهم لم يفعلوا، ونؤمن، في نفس الوقت، أن الحياة ستتغير وأن الظروف المستحيلة التي نعيشها ستتوقف وتبتسم. لكن الحياة ليست بهذا الكرم، ويمكن لأحدنا، أو جميعنا، أن نعيش حياة بائسة من بدايتها وإلى أن نموت.

كل ما أستطيع فعله هو المحاولة، والاستمرار في المحاولة.

ربما تسقط كل هذه الأسوار وأجدكِ، فجأةً، متيّمةً بحبي.



## عزيزتي إيفا

ما الذي حدث ل «نيتشه» حتى يكره العالم بهذا الشكل؟

كان يأكل وحيدًا، يشرب وحيدًا، يجلس وحيدًا، يتكلم وحيدًا، ويحب وحيدًا. عندما ترى نفسكَ قبيحًا، يصبح من المستحيل أن يحبك أى شخص آخر.

لا يعلم، هذا الأحمق، أن الأقسى من خذلان الحب هو وجوده، وأن الحب، إن وُجد، يجعلنا معلقين في الهواء دون ضامن وحيد بأننا لن نقع على رؤوسنا.

كان نيتشه رقيقًا مرهفًا، أحبّ بكل جوارحه، وأفنى نفسه. لكن ما حدث قد حدث، أحب وخذله الحب، وتحوّل قلبه، المرهف الرقيق، إلى صخرة لا تنبض. وكان هذا سببًا كافيًا كى يكره العالم.



## عزيزتي إيفا

أنا أدرك جيدًا معنى أن تقع في الحب. أعلم، عن تجربة، الشقاء المصاحب لهذا الشعور «الجميل».

لقد واجهتُ كل هذا، واجهته بقوة، فعلت كل ما يمكنني فعله كي لا أقع في حبك. كان هذا صعبًا.

صعبًا؟ أقول مستحيلًا. لا يمكن لشخص أن يسيطر على ما يدور داخله.

انتهى الأمر، هُزمت، وكانت هذه أجمل هزيمة تلقيتها في حياتي.

إنني أقع في دوامة الابتذال من جديد، أفقد قدرتي على التعبير، لهذا سأقول لكِ ما قاله «كافكا» لـ «ميلينا»:

لا أظن أن ثمّة امرأة، حتى في عالم الحكايات الأسطورية، قد حُورب من أجلها كما حاربتُ من أجلك في داخلي.



## عزيزتي إيفا

في محاولة لكرهك، أتذكّر كل يوم تُركتُ فيه وحيدًا.

هذا خطؤك، نعم خطؤكِ. هذا ليس حبًا، الوحدة لا تليق بي، لا يجب أن يكون هذا شعوري، أنا أحبكِ، أليس هذا كافيًا؟

وها أنا ذا، أقضي ليلتي في عدّ آثامك.

لم أجد ما يكفي منها، لكنني أختلق أشياءًا أخرى، مواقف أخرى لم تكوني حاضرةً فيها، مرات خُذلتُ فيها دون ذنب منكِ، أجمع كل هذا وألقيه على كاهلك، أنعتكِ بأشنع الصفات، الحقيقة أنني أجيد هذا الأمر: أحمّل غيري همومي دون تأنيب ضمير.

## عزيزتي إيفا

هناك خيط رفيع بين الحب والكراهية. يبدو أنني على وشك اجتيازه.



## عزيزتي إيفا

في ليلة كهذه، كان القمر لنا وحدنا. ليلة مظلمة قليلًا، يضيئها فقط انعكاس القمر في عينيكِ. سألتيني، ولكِ عادة غريبة في إلقاء أسئلة لا إجابة لها، كيف تعلم أنك تحبني حقًا؟ ما الذي يجعلك تظن أن حبك هذا حقيقيٌّ ملموس؟

لم أرد، لم أجد ردًا. كنتُ مشدوهًا بعينيكِ، كما أنني لم أفكر يومًا بهذا. كيف أجيبكِ عن سؤال كهذا؟ وهل ترضين أنتِ بإجابة تقول أن هذه الأمور تُعرف، دون سبب، نعرف أننا نحب. بهذه البساطة .

لكنني الآن، وبعد أن تحررت من سيطرة عينيكِ، أقول: أعرف أني أحبك عندما تكونين أول ما يخطر ببالي عندما أقرأ اقتباسًا يعجبني، أسمع مقطوعة موسيقية عذبة، أرى لوحة تلمس وترًا في قلبي. أعرف عندما لا أستطيع أن أتوقف عن رسم وجهك كلما فقدتُ تركيزي، أعرف عندما أيقنت، بيقين شبه راسخ، أنك الشخص الوحيد في هذا العالم الذي يملك القدرة على تحريكي من وحدتي .

هل تكفيكِ هذه الإجابة؟



## عزيزتي إيفا

مهووس أنا بالألغاز، أبحث عنها في كل مكان، أحاول معرفة الخبايا، لدى فضول تجاه كل ما هو غامض.

لكنني، بعد اكتشاف اللغز، أملّ منه، أنساه سريعًا وأبحث عن لغز آخر.

قد تكونين أنتِ الشخص الوحيد الذي كلما عرفتُ عنه أكثر كلما ازداد حبي له.

غير أنكِ لا تمنحينني الكثير، تتركينني أقوم بكل الحديث، وإذا تحدثتِ لا تقولين شيئًا.

أنتِ أكثر ألغازي صعوبة، أكثرها إيلامًا.

أنتِ لغزي الذي لا أريد الانتهاء منه.



## عزيزتي إيفا

لماذا تنظرين إليّ ولا تريني؟



للتواصل مع الكاتب

محمد شادي

MohamedShady2010

MohamedShady

mohamedshadyyy